بسم الله الرحمن الرحيم



يا بُنيّ

مفاتيح الطّريق

وصايا أبٍ لولده

كلماتٌ كتبتُها لك،

لعلّها تجد طريقها إليك

حين يعجز عنها اللسان

إهداء

إلى أبنائي الأعزاء

عمر · حلا · يحيى

وإلى كل أبنائنا الغاليين

يا نبضَ قلبي، وامتدادَ عمري،
هذه كلماتُ أبيكم،
فاحفظوها كما يُحفَظ العهد.

مفتتح

رسالةٌ في زجاجة

يا بني،

حين يكتب الأب لولده، فهو لا يكتب كتابًا، إنما يفتح نافذةً في جدارٍ بينه وبين الزمن، ويمدّ يده عبرها إلى غدٍ لا يدري أيدركه أم لا. وإني لأعلم أن الكلام المنطوق أعذب وأدفأ، وأن نبرة

الصوت تحمل ما لا تحمله الحروف، غير أن الأيام لا تعطي الناس كل ما يشتهون، ولعلي لا أجد من العمر والفرصة ما أقول لك فيه كل ما في صدري. فهذه الأوراق هي صوتي إذا سكت، ويدي إذا قصُرت، ووصيتي إذا غبتُ.

لا أكتب إليك لأعظك من علٍ، فما أنا بالمعصوم، ولا أبوك ملَكٌ يُنزل الحكمة من سماء. لقد زللتُ كما يزلّ الناس، وغفلتُ كما يغفلون، وعرفتُ طعم الندم قبل أن أعرف طعم الحكمة. وما أوصيك به

اليوم هو ثمرة تلك الغفلات؛ فخذ من تجربتي ما يوفّر عليك الطريق، ودع لي ما أخطأتُ فيه.

قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

فبدأ بالصلاة، وختم بالصبر، وبينهما الحياة كلها. وعلى هذا الميزان أضع وصاياي، كأنها أصابع كفٍّ أمدّها إليك لتتشبّث بها إذا اضطربت الأرض تحت قدميك.

الوصية الأولى

العشاء والفجر.. حارسا الليل

١. لماذا هاتان بالذات؟

يا بني، إن في الليل ساعتين تُمتحَن فيهما الرجولة امتحانًا لا يشهده أحد: ساعةٌ يكون فيها الجسد متعبًا من يومه، يشتهي الفراش والسكون، فيُنادى: حيّ على الصلاة؛ وساعةٌ يكون فيها النوم في ألذّ ما

يكون، والدفء في أحلى ما يكون، فيُنادى: الصلاة خير من النوم.

وقد لخّص النبي ﷺ سرّ هاتين الصلاتين حين قال: «أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا» (متفق عليه). فالثِّقَل هنا ليس في الحركات ولا الكلمات، وإنما في انتصار النفس على نفسها. من غلب نفسه في هاتين الساعتين، سهُل عليه أن يغلبها في سائر الساعات.

٢. ما الذي تمنحه لك الجماعة؟

قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (رواه مسلم).

تأمل يا بني هذه الصفقة: دقائق معدودات في مسجدٍ قريب، فتُكتب لك ليلةٌ كاملة من القيام! أيّ تجارةٍ في الدنيا تعطيك هذا الربح؟ وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» (رواه مسلم) — في ضمانه وحفظه ورعايته. فأنت إذا خرجتَ إلى

الفجر خرجتَ في كَنَفٍ لا يراه الناس، ويحسّه القلب.

وللجماعة سرٌّ آخر يعرفه من جرّبها: أن تقف في صفٍّ إلى جوار غريبٍ لا تعرفه، فتشعر أنك لستَ وحدك في هذا الكون، وأن لك إخوةً يستيقظون حين تستيقظ، ويسجدون حين تسجد. وما أحوج الشاب إلى هذا الشعور في عالمٍ يعلّمه أن يعيش وحيدًا خلف شاشة!

٣. الفجر.. بركة اليوم كله

من صلّى الفجر في وقته جماعةً بدأ يومه بنصرٍ صغير على نفسه، والنصر الصغير الأول يُورِث ثقةً تمتد إلى سائر النهار. ومن فاته الفجر استيقظ مثقلًا مهزومًا، يلاحق ساعات يومه كأنه يلحق بقطارٍ فات. وكأني بك تقول: «وكيف أستيقظ؟» فاسمع:

- **نَم مبكرًا**؛ فالفجر يُصلَّى بالأمس لا بالصباح. من سهر على التفاهات عاقبه الفجر بالغياب.
- **انوِ قبل أن تنام**، فالنية الصادقة نصفُ الاستيقاظ.

- **ضع منبّهك بعيدًا** عن سريرك حتى تُجبَر على القيام.
- **اصحَب رجلًا صالحًا** يوقظك وتوقظه؛ فالأخوّة في الله تُيسّر الصعب.
- وإن غلبك النوم يومًا فلا تيأس ولا تستسلم؛ قم في اليوم التالي كأن شيئًا لم يكن، فالعبرة بمن يعود لا بمن لا يسقط.

الوصية الثانية

سورة البقرة.. بيتٌ تسكنه كل يوم

يا بني، لو قيل لك إن في بستانٍ قريبٍ كنزًا تأخذ منه كل يوم، أكنتَ تهجره؟ إن سورة البقرة بستان القرآن وكنزه؛ فيها أطول آية وأعظم آية، وفيها قصة آدم وموسى وإبراهيم، وفيها أحكام الصيام

والحج والمعاملات، وفيها خواتيمُ هي من كنوز العرش.

قال ﷺ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» (رواه مسلم).

والبَطَلة هم السحرة، أو أهل الباطل. وقال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (رواه مسلم).

فاجعل لها وردًا يوميًا، ولو قليلًا في البداية. فهي نحو أربعين صفحة من المصحف؛ إن قرأتَ منها بعد كل صلاةٍ ما تيسّر، أتممتَها في اليوم دون

عناء. وإن ضاق وقتك فاقرأ منها قدر طاقتك، فالمداومة على القليل خيرٌ من الانقطاع عن الكثير. وقد قال ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه).

ولا تقرأها قراءةَ العجول الذي يريد أن يبلغ آخر الصفحة، بل اقرأها قراءةَ من يحادث الله. وقف عند آياتها: عند ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، وعند ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وعند ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. ففي كلٍّ منها دواءٌ لجراحٍ

ستصيبك يومًا، وقد لا أكون إلى جوارك لأضمّدها.

وإني أقول لك ما أعرف من نفسي: كم من ليلةٍ أظلمت عليّ فيها الدنيا، فوجدتُ في آيةٍ من البقرة ما لم أجده في كلام الناس جميعًا.

الوصية الثالثة

جسدك أمانة.. فلا تخُنها

١. الجسد ليس عدوّ الروح

يا بني، قرأتُ كثيرًا لأقوامٍ احتقروا الجسد وعدّوه سجنًا للروح، وقرأتُ لآخرين عبدوه حتى صار إلههم. وبين هؤلاء وهؤلاء جاء الإسلام بالميزان:

«إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (رواه البخاري). والحق هنا واجبٌ مُلزِم، لا فضلٌ مستحب.

وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» (رواه مسلم). فالقوة مطلوبة، وهي من الإيمان لا من خارجه. وإن الله حين قال لبني إسرائيل عن طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧) جمع له العلم والجسم معًا، فلم يجعل أحدهما يغني عن الآخر.

٠٢. لماذا أوصيك بالرياضة؟

لأن الجسد الذي لا يتحرك يضعف، والضعيفُ تغلبه الأمراض والكسل، ويغلبه الحزن أحيانًا. ولأن من يروّض جسده على التعب يروّض نفسه على الصبر. ولأنك ستحتاج يومًا إلى قوةٍ تحمل بها أهلك وعملك وهمّك، وتقف بها في الصلاة طويلًا، وتخدم بها والديك إذا كبرا، وتدفع بها عن نفسك وعمّن تحب.

ومن عجيب ما تعلمتُ أن التمرين فيه درسٌ أخلاقي: فأنت تقف أمام الحديد أو الطريق وحدك، لا

يراك أحد، ولا يمدحك أحد، فإن استمررتَ فهو الإخلاص بعينه. والعضلة لا تنمو بالأماني، ولا النفس كذلك.

٣. كيف تفعل؟

- اجعل لنفسك **موعدًا ثابتًا** للحركة، ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل، لا يُلغيه إلا عذرٌ حقيقي.
- **تدرّج**؛ فمن حمل فوق طاقته في أول الطريق انكسر، ومن بدأ صغيرًا وثبت بلغ.

- **نوّع** بين القوة والجري والمشي والسباحة، ولا تُهمل **المرونة والإحماء** حتى لا تؤذي نفسك.
- **لا تقارن جسدك بغيرك**؛ قارن نفسك بنفسك أمس.
- **لا تُهمل راحتك**: فالنوم الكافي جزءٌ من التمرين، والإفراط فيه ظلمٌ لجسدك كما التفريط.
- وإن كان بك عارضٌ صحي، فاستشر الطبيب قبل أن تشتدّ.

الوصية الرابعة

طعامك.. دواؤك أو داؤك

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١). فجمع الإسلام قاعدتَي الغذاء في آيةٍ واحدة: **الطيّب** وعدم **الإسراف**.

وقال ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» (رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حديث حسن). وما أظن علمَ التغذية الحديث قد بلغ أبلغ من هذه الكلمات في الاقتصاد والاعتدال.

يا بني، إن كثيرًا من الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم. فكن معتدلًا:

- **كُل لتعيش، لا تعش لتأكل.** قُم عن المائدة وفيك بقيّةُ شهية.

- **اجعل الأساس** من الخضار والفاكهة والبقول والحبوب الكاملة والبروتين النظيف، وقلّل من السكريات المصنّعة والمقليات والمشروبات الغازية والوجبات السريعة، فهي لذةُ ساعةٍ وثمنُها سنين.
- **اشرب الماء** بوفرة، وأقلل من العصائر المحلّاة والمنبهات الزائدة.
- **كُل بهدوء**، ولا تأكل وأنت غاضب أو مشغول بالشاشة، ولا تنم على امتلاء.

- **لا تُقدّس الحميات الغريبة** ولا تُلقِ بنفسك في كل موضة؛ فالقاعدة القديمة تكفي: توازنٌ واعتدال، وإن احتجتَ إلى نظامٍ خاص فاسأل مختصًّا موثوقًا.

- **واذكر اسم الله** عند أول لقمة، واحمده عند آخرها؛ فالنعمة التي لا تُشكَر تُسلب.

واعلم أن الطعام الطيب ليس فقط ما كان صحيًّا، بل ما كان **حلالًا** كسبُه، **نظيفًا** مصدرُه. فتحرَّ ما تأكل كما تتحرّى ما تقول.

الوصية الخامسة

لا تُدخّن.. ولا تقترب

يا بني، هذه وصيةٌ أكتبها بقلبٍ يعرف أكثر مما يقول. التدخين لا يبدأ بقرارٍ عظيم، بل بـ«مجرد تجربة»، و«سيجارة واحدة مع الأصحاب»، و«لن أصير مدمنًا». ثم يصير الأمر سلسلةً من الحديد تلتفّ حول الإرادة خيطًا خيطًا، حتى يصحو المرء فيجد نفسه عبدًا لشيءٍ يكرهه ولا يملك فراقه.

ولقد ثبت عند أهل الطب ثبوتًا لا مراء فيه أن التدخين يفتك بالرئتين والقلب والشرايين، ويسبّب السرطان وضيق التنفس وتراجع اللياقة، ويؤذي من حولك كما يؤذيك. وأهل العلم اليوم على تحريمه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، ويقول: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ويقول النبي ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (رواه ابن ماجه وغيره، وهو حديث حسن). ثم إن فيه إنفاقًا للمال في غير نفع، وإيذاءً للمصلين

برائحته، وقد قال ﷺ في الثوم والبصل ما قال تنزيهًا للمسجد عن الرائحة، فكيف بما هو أشدّ منها؟

ولكن يا بني، لا أكتفي بأن أقول لك «لا». أقول لك: **لماذا؟** لأن الذي يُحرَم من الدخان لأجل أن أحدًا نهاه، سيعود إليه. أما الذي يعرف أن جسده أمانة، وأن إرادته أغلى من لذةٍ عابرة، وأن قيمته أعظم من أن يرهنها لشركةٍ تتاجر بصحته، فهو الذي ينجو.

وإن ضغط عليك الأصحاب فقل: «لا، شكرًا» بابتسامةٍ هادئة، ولا تعتذر ولا تبرّر؛ فمن احترم

نفسه احترمه الناس، ومن خاف سخرية الناس خسر نفسه وخسرهم. ومن كان من أصحابك يلحّ عليك في ما يؤذيك، فليس بصاحب.

وإن زلّت قدمك يومًا، فتُب وأقلع من فورك، واطلب عونًا من الله ثم من طبيبٍ أو صديقٍ ناصح؛ فباب العودة لا يُغلَق، وليس في الإقلاع عيب، بل العيب في الاستمرار بعد البيان.

الوصية السادسة

أسرارك وأسرار بيتك.. أمانةٌ في صدرك

يا بني، في صدرك خزانتان: خزانةٌ لأسرارك، وخزانةٌ لأسرار بيتك. فاحرص ألّا يكون مفتاحهما معلّقًا على أبواب الناس.

١. سرّك أمانتك

قال يعقوب لابنه يوسف: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف: ٥). فنصحه أن يكتم حتى رؤيا بريئة هي بشارة خير، فكيف بما هو أثقل منها؟ وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨). فكل كلمةٍ تخرج منك لا تعود.

واعلم أن الكلمة ما دامت في صدرك فهي أسيرتك، فإذا خرجت صرتَ أنت أسيرها.

٢. بيتك حرمٌ لا يُفتَح لكل أحد

لا تُعطِ أحدًا معلومةً عن بيتك — عن أهلك وأحوالهم، ومواعيد خروجكم ودخولكم، وما في بيتكم من مالٍ أو خلافٍ أو ضيقٍ أو سعة — إلا لحاجةٍ حقيقية، ومع من تأمنه أمنًا تامًّا، وقد جرّبتَه في السرّ والعلن. وهذا الباب أوسع مما تظن:

- **المعلومة التي تحسبها بلا قيمة** قد تكون قطعةً ناقصة في صورةٍ غيرك؛ فالأذى يُجمَّع من الفتات.

- **على الشاشات**: لا تنشر أخبار بيتك ولا صور أهلك ولا مواعيدكم ولا عنوانك، ولا تُجِب غريبًا يسألك عن «أحوال البيت» ببساطة.

- **خلافات البيت** تبقى في البيت؛ فمن شكا أهله للناس أضاع هيبتهم وهيبته، وما أصلح شيئًا.

- **لا تكشف سرَّ غيرك** كما لا تحب أن يُكشف سرّك؛ فمن ائتمنك فقد ولّاك أمانة.

- وإن اضطررتَ إلى البوح لطلب نصيحةٍ أو مساعدة، فقدّر الحاجة بقدرها، وقل ما يلزم فقط، وللثقة المجرَّبة وحدها.

٣. لا تجاهر بالذنب

قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» (متفق عليه). ومن المجاهرة أن يعمل الرجل الذنب بالليل فيستره الله عليه، ثم يصبح فيحدّث الناس بما فعل، وقد بات يستره ربّه، فيكشف هو ستر الله عن نفسه.

فإذا زللتَ يا بني — وكلنا يزلّ — فاستتر بستر الله، وتُب بينك وبينه، ولا تحدّث بذنبك ولا تتفاخر به ولا تُشهد عليه أحدًا. فالستر نعمة، والمجاهرة استخفافٌ بها. وإن احتجتَ إلى علاجٍ أو فتوى

فاذكر ما يلزم لثقةٍ من أهل العلم أو لناصحٍ أمين، بقدر الحاجة، دون تفاصيل مُخزية.

الوصية السابعة

بيتك وأهلك.. بعد الدين

يا بني، قد تتزاحم عليك الدنيا: صديقٌ يطلبك، وعملٌ يستنزفك، وطموحٌ يشدّك. وإني أوصيك وصيةً ترتّب لك الأولويات: **بيتك وأهلك ومصلحتهم قبل أي شيء من أمور الدنيا، ولا يتقدّم عليهم إلا الدين.**

١. لماذا هم أولًا؟

لأن الأهل أول من يرحمك وآخر من يتخلّى عنك.

ولأنهم أمانةٌ في عنقك؛ قال ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (متفق عليه). وقال ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ» (رواه مسلم). وقال لسعدٍ رضي الله عنه: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ» (متفق عليه).

٢. ماذا يعني أن يكونوا أولًا؟

- **وقتك**: كن حاضرًا بينهم بقلبك لا بجسدك فقط، ولا تجعل العمل الزائد عذرًا لغيابك؛ فالعمل وسيلةٌ للبيت لا بديلٌ عنه.
- **مالك**: النفقة عليهم بالمعروف قبل التوسّع على الأصحاب والكماليات.
- **قرارك**: إذا تعارضت رغبة صديقٍ أو غريب مع مصلحة بيتك، فقدّم بيتك.
- **صيانتهم**: احفظ أسرارهم وكرامتهم، وكن لهم سندًا إذا ضاقت بهم الدنيا.

- **مشورتهم:** لا تفرض رأيك فرضًا، وشاور أهلك فيما يمسّهم.

٠٣. إلا الدين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦). فمصلحة بيتك الأولى هي دينهم قبل دنياهم. وقد عاتب الله أقوامًا كان أهلهم ومالهم ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٤). فإذا تعارض أمر ربك مع رغبةٍ من

أحدٍ من أهلك فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق؛ قال ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» (متفق عليه).

ولكن بلينٍ وحكمةٍ وإحسان؛ فبرّ الوالدين وصلة الرحم باقيان حتى مع الخلاف: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥).

الوصية الثامنة

القصد القصد.. تبلغوا

يا بني، آفة الناس في الغلوّ والتقصير، لا يعرفون المنتصف. وقد جعل الله هذه الأمة ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). فاحذر الإسراف في كل شيء، حتى في الطيّبات، وحتى في المشاعر:

- **في الإنفاق:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩). وقال في عباده: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧).

- **في الهزل:** كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا (رواه الترمذي، وهو حديث حسن). فللمزاح موضع، وللجدّ مواضع؛ ومن أكثر من الهزل ذهبت هيبته وضاع جدّه.

- **في الحب والبغض**: لا يُنسيك حبّك لأحدٍ حقَّ ربك ولا حقَّ نفسك، ولا يجعلك عبدًا لمن تحب. وكذلك البغض: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (المائدة: ٨).

- **في الحزن والفرح**: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣). ولمّا مات ابنه إبراهيم قال ﷺ: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا**» (رواه البخاري). فلم يمنع الحزن، ولم يُطلق له العنان.

- **في العبادة:** قال ﷺ: «**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**» (رواه البخاري). وفيه: «**الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**».

واعلم أن الاعتدال ليس فتورًا، بل هو قوة من يملك زمام نفسه؛ فلا الفرح يُطيّره، ولا الحزن يُسقطه، ولا المال يُبطره، ولا الفقر يُذلّه.

وكان ﷺ يدعو في دعاءٍ عظيم: «**وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى**» (رواه النسائي وأحمد، وصحّحه جماعة من أهل العلم).

فاسأل الله القصد في الغنى والفقر: إن أغناك فلا تبطَر، وإن أفقرك فلا تيأس ولا تذلّ.

الوصية التاسعة

ثُلُثُ ساعةٍ مع اللهِ.. وِرد الذكر

يا بني، إن للقلب غذاءً كما للجسد غذاء، وغذاؤه ذكر الله. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١). وقد شبّه ابن

القيم رحمه الله حاجة القلب إلى الذكر بحاجة السمك إلى الماء، فتأمّل كيف يكون حال السمكة إذا فارقت الماء!

وإني أوصيك أن يكون لك **وِردٌ يوميٌّ ثابت من الذكر لا يقلّ عن ثُلث ساعة**، أي نحو عشرين دقيقة، لا تُلغيه إلا لعذر.

١. لماذا الذكر؟

قال ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**» (رواه البخاري). فالذاكر حيٌّ وإن بدا ساكنًا، والغافل ميّتٌ وإن بدا متحرّكًا. وفي

الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» (متفق عليه). أيُّ شرفٍ أعظم من أن يكون الله معك؟

وقال ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» (متفق عليه). خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان؛ فما أرخص الثمن وما أغلى الربح!

٢. ما الذي تقوله؟

اجعل وردك من الأذكار المعروفة الثابتة، ونوّع بينها حتى لا يملّ قلبك:

- **التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل:** قال ﷺ: **«لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»** (رواه مسلم).

- **سبحان الله وبحمده:** قال ﷺ: **«مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»** (متفق عليه).

- **الاستغفار:** قال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» (رواه البخاري). فإذا كان هذا حال من غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فكيف بنا؟

- **الصلاة على النبي ﷺ:** قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» (رواه مسلم).

- **لا حول ولا قوة إلا بالله:** قال ﷺ لأبي موسى: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (متفق عليه).

٣. دعاؤك بأسماء الله الحسنى

وخصّص من وردك دقائق للدعاء بأسماء الله الحسنى. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠). وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (متفق عليه).

وأحسن ما تفعل أن تختار الاسم الذي يناسب حاجتك:

- إذا أذنبتَ فقل: يا غفور، يا تواب، اغفر لي وتُب عليّ.

- إذا ضاق رزقك: يا رزّاق، يا فتّاح، ارزقني وافتح لي.
- إذا حرتَ في أمرك: يا هادي، يا عليم، اهدني واعلمني.
- إذا اشتدّ بك كرب: يا لطيف، يا قريب، يا مجيب، الطف بي وفرّج عني.
- إذا مرضتَ أو مرض أحبّتك: يا شافي، يا رحيم، اشفني واشفِ مرضانا.
- وإذا خفتَ: يا حفيظ، يا حليم، يا قويّ، احفظني وكن لي.

وتعلّم الأسماء ومعانيها، فمن عرف ربّه أحبّه، ومن أحبّه دعاه ورجاه.

٤. كيف تحافظ عليه؟

- **حدّد وقتًا ثابتًا**: بعد الفجر، أو بعد العصر، أو قبل النوم، أي وقتٍ يخلو فيه قلبك.
- **ابدأ ولو بعشر دقائق** ثم ارتقِ إلى ثلث الساعة؛ فالمداومة خيرٌ من الحماسة العابرة.
- **أحضِر قلبك**: فذكرٌ بلسانٍ وقلبٍ غافل قليلُ الأثر، فقف عند معاني ما تقول.

- **ضُمَّ إليه ذكر الطريق**: فاذكر الله وأنت تمشي أو تقود أو تتمرّن، فتصير أيامك كلها وردًا.
- **لا تتركه إذا فاتك**، بل عُد إليه في أول فرصة.
- **لا تتكلّف** صيغًا ولا أعدادًا لم ترد، والزم ما ثبت واعتدل فيه.

وإني أقول لك ما جرّبتُ: كم من قلبٍ ضاق، فلمّا لهج بالذكر انفسح، وكم من همٍّ ثقيل خفّ في دقائق من الاستغفار. فاجعل هذه الدقائق صلتك التي لا تنقطع، فإن انقطع كل شيء بقيت صلتك بربّك.

الوصية العاشرة

تقوى الله في السرّ والعلن.. في الصغيرة قبل الكبيرة

يا بني، هذه خلاصة الوصايا كلها، وهي الروح التي تُحيي كل ما قبلها؛ فالصلاة والذكر والبقرة والرياضة وغيرها إن لم يكن وراءها قلبٌ يخاف الله ويراقبه، صارت حركاتٍ بلا روح. وقد جمع النبي

ﷺ ذلك في وصيةٍ جامعة: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن). فقال: «حَيْثُمَا كُنْتَ» — في الخلوة والجلوة، وفي الليل والنهار، وبين الناس وبعيدًا عنهم.

١. ما معنى التقوى في السرّ؟

سأل جبريل النبيَّ ﷺ عن الإحسان، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (رواه مسلم). فالتقوى أن تعلم أن الله معك، يراك ويسمعك، أينما كنت: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾

(الحديد: ٤)، وأنه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩). فلا تحتاج إلى رقيبٍ من البشر، فرقيبك أقرب إليك من نفسك.

٢. لماذا السرّ هو الميزان؟

لأن ما تفعله أمام الناس تحرسه عيونهم وسمعتهم وحياؤك منهم؛ أما ما تفعله وحدك، لا يراك فيه إلا الله، فهو الاختبار الحقيقي. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك: ١٢).

وقد ذكر النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»، و«وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (متفق عليه).

كلاهما كان في خلوةٍ لا يراه فيها أحد، فاستحيا من الله فنجا.

وما أكثر ما نتزيّن للناس ونُهمل ما بيننا وبين الله! فاحرص أن يكون سرّك خيرًا من علانيتك، فإنه من أسباب القبول.

٣. الصغيرة قبل الكبيرة

لا تحتقر شيئًا من الذنوب، ولا شيئًا من الطاعات.

قال أنس رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ» (رواه البخاري). فالصغائر إذا تراكمت وأُصرّ عليها صارت جبلًا يُثقل ظهرك، ومن استهان بالصغيرة اجترأ على الكبيرة.

وكذلك في الخير: لا تحقر ابتسامةً ولا كلمةً طيبة ولا إماطة أذى؛ فالله تعالى يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨). وإن الأسرة تُبنى بالتفاصيل الصغيرة، والقلب يُبنى بها.

٤. كيف تحفظ تقواك؟

- **استحضر رقابة الله** قبل أن تفعل أو تقول، واسأل نفسك: لو كان الناس يروننني الآن، أكنت أفعل هذا؟ فالله أولى بالحياء منه.
- **أغلق أبواب الخلوة المريبة**: لا تنفرد بشاشتك طويلًا في ما لا يرضي الله، وابتعد عن مواضع الفتنة قبل أن تضعف.

- **أتبع السيئة الحسنة** فور وقوعها: توبةً واستغفارًا وصدقةً وركعتين، فإن الحسنات يُذهبن السيئات.
- **لا تؤجّل التوبة**؛ فالتأجيل من خُدَع النفس، وأخشى ما أخشاه عليك أن تقول «غدًا».
- **حاسب نفسك** كل ليلةٍ قبل النوم دقائق: ماذا فعلتُ؟ ماذا قصّرتُ؟ ثم تُب واعزم.
- **اصحب من يعينك** على الخشية، وابتعد عمّن يهوّن عليك الذنب ويزيّنه.

واعلم يا بني أن التقوى ليست خوفًا يُقعدك، بل هي **حياءٌ ومحبةٌ ومراقبة** تجعلك أخفّ على الأرض وأقرب إلى السماء. فاسأل الله أن يرزقك خشيته في الغيب والشهادة، وهو القائل: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ (الطلاق: ٢).

الوصية الحادية عشرة

حسن الخلق.. صبرٌ وحلمٌ وحكمة

يا بني، يُقاس الرجل في الناس بخُلُقه قبل علمه وماله. وقد قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (متفق عليه). وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣). فاجعل خُلُقك جواز مرورك

إلى قلوب الناس، فما وصل إلى القلوب شيءٌ كحسن الخلق.

١. حسن الخلق في المعاملة

المعاملة ميدان الأخلاق الحقيقي؛ ففيها المال والمصالح، وفيها تظهر معادن الرجال. قال ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (متفق عليه). فاجعل أصل معاملتك:

- **الصدق والوضوح**: لا تغشّ ولا تكتم عيباً، ولا تَعِد بما لا تقدر عليه.

- **الوفاء بالوعد وأداء الحق**: فمن أخلف وعده أضاع ثقة الناس به، وثقتهم رأس مالك.
- **الرفق**: قال ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»** (متفق عليه)، وقال: **«مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»** (رواه مسلم).
- **لين الكلام وطيب الوجه** مع القريب والبعيد، ومع الغني والفقير على السواء.
- **التماس العذر** لمن أخطأ في حقك، وإحسان الظن ما وجدتَ إليه سبيلًا.

- الدفع بالتي هي أحسن: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

ولا تجعل أحسن خلقك للغرباء وأسوأه لأهل بيتك؛ فأولى الناس بحُسن خُلقك أقربهم إليك.

٢. الصبر.. زاد الطريق

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وقال النبي ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (متفق عليه).

فاصبر على الناس إذا ضاقوا بك وضقتَ بهم، وعلى الرزق حتى يأتي، وعلى الطاعة حتى تثبت، وعلى البلاء حتى يزول؛ فما رأيتُ شيئًا يُسعف صاحبه كما يُسعفه الصبر.

وقد يطول عليك الأمد فتظن أن الفرج بعيد. فتذكّر أن الفلاح لا يحصد يوم يزرع، وأن للأشياء مواسم، وأن الذي يعجل قبل موسمه يخسر الثمرة.

٣. لا تغضب

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أوصني. قال: «لَا تَغْضَبْ»، فردّد مرارًا، قال: «لَا تَغْضَبْ» (رواه

البخاري). وكأنه جمع له الخير كله في كلمة؛ فإن الغضب مفتاح كل شرّ: منه تنشأ القطيعة والظلم والكلمة التي لا تُسترد، والقرار الذي يُندم عليه.

وقال ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (متفق عليه). فالقوي ليس من يغلب غيره، بل من يغلب نفسه. وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

فإذا اشتدّ بك الغضب:

- **استعذ بالله** من الشيطان، قال ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» (متفق عليه).

- **اسكت** حتى تهدأ، فالكلمة في فمك أسيرتك، فإذا خرجت صرتَ أسيرها.

- **لا تقرّر شيئًا وأنت غاضب**، فقد قال ﷺ: «**لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**» (متفق عليه)، فإذا كان هذا في الحكم بين الناس، فكيف في قراراتك وبيتك؟

- **ابتعد عن موضع الغضب** قليلًا، وتوضأ أو امشِ حتى يسكن قلبك، ثم عد.
- وإن أخطأتَ في حقّ أحدٍ وأنت غاضب، فبادر بالاعتذار؛ فالاعتذار لا ينقص الرجل بل يرفعه.

٤. الحكمة، والاستشارة من أهل الخبرة

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩). والحكمة أن تضع كل شيءٍ في موضعه: الكلمة في وقتها،

والموقف في مكانه، والحزم حيث يلزم الحزم، واللين حيث يلزم اللين. ومن أعظم الحكمة أن تعرف حدود علمك.

فلا تستبدّ برأيك في ما لا تعلم، واستشر أهل الخبرة والعلم والتجربة؛ فقد قال الله لنبيّه ﷺ مع عظيم عقله وفضله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ووصف المؤمنين بأن ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)، وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

- **في الدين** اسأل أهل العلم الموثوقين، ولا تأخذ فتواك من كل ناعق.
- **في الصحة** اسأل الطبيب، **وفي المال** اسأل ذا الخبرة الأمين، **وفي القانون** اسأل المختص، **وفي العمل** اسأل من سبقك بتجربة ونجاح.
- **اختر مستشارك** بعناية: صادقًا ناصحًا، لا يجامل، ولا له مصلحة في ما يشير به.
- **اسمع أكثر مما تتكلم**، وقارن بين الآراء، **ثم تأنَّ** وقرّر، وتوكّل على الله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

- **ولا تستحِ من السؤال**؛ فما ضاع من سأل، وإنما ضاع من ظنّ أنه يكفيه رأيه.

وإنّ من الناس من يظن أن الاستشارة نقصٌ في الرجولة، وهي في الحقيقة قمة العقل: أن تستعير عقول الناجحين لتختصر على نفسك سنين من الأخطاء. فكن حليمًا صبورًا حسن الخلق، حكيمًا إذا تكلمتَ وإذا سكتَّ وإذا قررتَ.

الوصية الثانية عشرة

الرضا بالقضاء والقدر.. حصنٌ من الصدمات

يا بني، الدنيا لا تخلو من الصدمات: خبرٌ يأتيك على غير موعد، وفقدٌ لا تتوقعه، وخذلانٌ من قريب، وخسارةٌ بعد تعب. ولا أستطيع أن أعدك بأنها لن تصيبك، ولكني أستطيع أن أدلّك على

الحصن الذي يعصمك من أن تُهدَم بها: **الرضا بقضاء الله وقدره، خيره وشرّه.**

١. الدنيا دار اختبار

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤).

في كَبَدٍ: في مشقةٍ وتعب. فمن طلب الدنيا صافيةً من الكدر فقد طلب ما لم يُخلَق. وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢). فالدنيا ميدان امتحان لا دار قرار، ومن

علم ذلك استعدّ، ومن استعدّ لم تُفجِعه الصدمة كما تُفجِع الغافل.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥). فالابتلاء وعدٌ مسبق، لا مفاجأة.

٢. كل شيء مكتوب

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾

(الحديد: ٢٢)، وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١). فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ كل شيءٍ بعلم الله وتقديره وحكمته.

وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ... احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (رواه مسلم).

فهذه هي الموازنة: خُذ بالأسباب كاملةً، ثم سلّم لله

النتيجة. لا تتكاسل بحجة القدر، ولا تعذّب نفسك بعد وقوعه بـ«لو».

٣. الله يريد بك اليسر

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقال: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦). وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥ - ٦).

فاعلم أن وراء كل ضيقٍ فرجًا، وأن ربّك أرحم بك من نفسك ومن أمك وأبيك. وكم من أمرٍ

كرهتَه فكان فيه خيرك، وكم من بابٍ أُغلق في وجهك ليُفتح لك بابٌ أوسع منه! وقال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (متفق عليه).

فلا ألمٌ يضيع، ولا جرحٌ يُنسى عند الله.

٤. الرضا لا يعني ألّا تحزن

لا تفهم الرضا فهمًا خاطئًا؛ فالرضا ليس جمودًا ولا قسوة. فقد بكى النبي ﷺ عند وفاة ابنه، وقال: **«إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا»** (رواه البخاري). فالدمعة رحمة، والحزن فطرة، والمحظور هو الجزع والاعتراض والسخط. وقال ﷺ: **«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»** (متفق عليه) — أي أن العبرة بما تفعله في اللحظة الأولى التي تفاجئك.

٥. كيف تحصّن نفسك؟

- وطّن نفسك من الآن على أن الدنيا دار ابتلاء، وأن ما في يدك عاريةٌ تُسترد، فلا تعلّق قلبك بشيءٍ تعلّق من لا يتصوّر فراقه.

- قل عند المصيبة ما علّمك ربك: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، وقل ما علّمك نبيك ﷺ: «اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا» (رواه مسلم).

- أكثر من الاستعاذة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» (رواه البخاري)، وحافظ على صلاتك وذكرك، فهي سندك.
- اصبر في اللحظة الأولى، ولا تتخذ قرارًا كبيرًا وأنت مصدوم؛ انتظر حتى تهدأ نفسك.
- لا تعش في «لو»؛ فما مضى مضى، فاسأل نفسك: ماذا أفعل الآن؟
- لا تحمّل نفسك ما لا تطيق ولا تحبس ألمك في صدرك؛ فتحدّث إلى أهلك وصالحي

إخوانك، وابتعد عمّا يُؤذي نفسك من الصحبة والمشاهد والأخبار.

- **وإن ثقل عليك الحزن واستمرّ ولم يخفّ**، فلا تتردّد في طلب العون من مختصٍّ ثقة؛ فالتداوي من الأسباب المأمور بها، ولا يتعارض مع الرضا.
- **اشغل نفسك بعملٍ نافع**: صلة رحم، ورياضة، وعلم، وخدمة؛ فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

يا بني، إذا ضاقت بك الدنيا يومًا فتذكّر هذه الوصية: **ما كُتب لك لن يفوتك، وما فاتك لم يُكتب لك، وربّك أرحم بك مما تظن.** فارضَ، واسعَ، وتوكّل، ونَم قرير العين.

الوصية الثالثة عشرة

الثقة.. بربك وبنفسك وبما عند الله

يا بني، أخطر ما يُصيب الرجل أن يفقد ثقته: بربّه، فيخاف من الغد؛ وبنفسه، فيتردّد ويتراجع؛ وبما عند الله، فيتعلّق بما في أيدي الناس. وللثقة ثلاثة أبواب، فادخل منها واحدًا واحدًا.

١. الثقة بالله

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣). وحسبُك من كان الله حسبَه. ولما أُلقي إبراهيم في النار قال: «حسبي الله ونعم الوكيل»، وقالها نبيّنا ﷺ حين خوّفه الناس بجموعهم، فكانت لهما بَرْدًا وسلامًا، وزادتهم إيمانًا: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) (رواه البخاري).

وانظر إلى موسى عليه السلام والبحر أمامه وفرعون خلفه، وقد قال أصحابه: إنّا لمدركون، فقال بيقينٍ لا يتزعزع: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء:

٦٢). وانظر إلى أبي بكر في الغار وأقدام المشركين فوق رأسه، فقال له النبي ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، وقال: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حديث حسن). والطير لا تجلس في أعشاشها، بل **تغدو**؛ فالتوكل أن تأخذ بالأسباب وقلبك معلّقٌ بالله، لا أن تقعد وتنتظر.

وقال ﷺ لابن عباس: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ... وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فاجعل ثقتك في ربك أنه لا يضيّع من لجأ إليه، ولا يُسلم من توكّل عليه، وأن حسن الظن به عبادةٌ في ذاتها.

٢. الثقة بما عند الله

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦)، وقال: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

(القصص: ٦٠). وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢).

فلا تُعلّق قلبك بما في أيدي الناس؛ ما عندهم يفنى وما عند الله يبقى. ولا تخف من فقرٍ ولا ضيق رزق؛ فرزقك مكتوب، وأجلك مكتوب، ولن تموت نفسٌ حتى تستوفي ما كُتب لها. وثق أن ما ادّخره الله لك في الآخرة أعظم مما فاتك في الدنيا، وأن الصبر والإحسان والإخلاص لا يضيع منه شيء عند الله.

واعلم أن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، فمن أراد الخير الذي عنده فليطلبه من بابه: الصلاة، والذكر، والعمل الصالح، وترك الحرام. وثق بأن من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه، وإن تأخّر العوض؛ فالله لا يُخلف وعده، وإن كان أحيانًا يُجمّل لك العطاء بالتأخير.

٣. الثقة بنفسك

وليست الثقة بالنفس غرورًا، بل هي أن تعرف قدراتك، وتتوكّل على ربك، وتُقدِم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩). وانظر إلى يوسف عليه السلام حين قال بثقةٍ هادئة: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥). لم يقل ذلك كِبرًا، بل لأنه عرف ما عنده من علمٍ وأمانة، ووضعه حيث ينفع. وقال شعيبٌ عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (هود: ٨٨). فثقتك بنفسك مستمدّة من ثقتك بربّك: أنت تعمل، والتوفيق من الله.

وقال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ» (رواه مسلم). فلا تعجز، ولا تقل «لا

أستطيع» قبل أن تحاول. واحذر الوجه الآخر: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» (رواه مسلم). فالثقة غير الكِبر؛ الواثق يعمل بتواضع، والمتكبّر يتعالى بلا عمل.

٤. كيف تبني ثقتك؟

- **اعرف ربّك** بأسمائه وصفاته، فمن عرف الله وثق به؛ ومن وثق به لم يخَف أحدًا.
- **تعلّم وأتقن** عملك؛ فالثقة تنبع من الكفاءة، وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

- **ابدأ بإنجازات صغيرة** وثبّتها؛ فكل نجاحٍ صغير لبنةٌ في بناء الثقة.
- **لا تقارن نفسك بغيرك**؛ لكل إنسانٍ طريقه ومواهبه ومواسمه.
- **سامح نفسك إذا أخطأت** وتعلّم من الخطأ؛ فالثقة لا تعني ألّا تخطئ، بل ألّا يُقعدك الخطأ.
- **أحسن الظن بربك** عند كل شدّة، وقل: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»، ثم أقدِم.

- **لا تجعل رأي الناس ميزانك**؛ استمع للناصح، ولا تلتفت للمثبّط، واجعل ميزانك رضا الله.
- **واحذر الكبر** فهو يُفسد الثقة ويُحوّلها إلى غرور.

يا بني، امشِ في الدنيا مرفوع الرأس بثقةٍ لا تعرف الغرور؛ ثقتك بربك أنه معك، وبنفسك أنك قادر بإذنه، وبما عنده أنه خيرٌ وأبقى. ومن جمع هذه الثلاث لم تُوهنه الدنيا ولم تُذلّه الحاجة.

الوصية الرابعة عشرة

الجدّ والاجتهاد.. ولا استهتار

يا بني، قالت العرب: **من جدّ وجد، ومن زرع حصد.** وهي حكمةٌ صادقة، لكنها ليست مجرد حكمة العرب، بل هي سنّة الله في كونه: لا ثمرة بلا بذر، ولا حصاد بلا سقيٍ وصبر، ولا مجد بلا تعب. فاحذر الاستهتار، وألزم الجدّ.

٠١. من جدّ وجد

قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (النجم: ٣٩ - ٤٠)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩).

فمن بذل جهده وجد التوفيق في طريقه، ومن قعد انتظر سرابًا. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥). وقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠).

وانظر إلى نبيّك ﷺ، وقد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، كيف كان يقوم من الليل حتى تتورّم قدماه، فلما سُئل عن ذلك قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (متفق عليه). فإذا كان هذا اجتهاد من غُفر له، فكيف بمن يحتاج إلى المغفرة والرفعة؟

٢. الاستهتار داء

الاستهتار أن تستخفّ بالأمور، فلا تُبالي بوقتك ولا بواجباتك ولا بمسؤولياتك ولا بعمرك. وهو داءٌ يبدأ صغيرًا: تأجيلٌ هنا، وتسويفٌ هناك، وكلمة

«بكرة» و«سأفعل»، حتى يمرّ العمر وأنت لا تزال تعد نفسك.

وقد قال ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (رواه البخاري). فكم من صحيحٍ فارغٍ ضيّع صحته وفراغه فيما لا ينفع، ثم ندم يوم لا ينفع الندم! وكان النبي ﷺ يستعيذ فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ» (متفق عليه). وقد قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ

أَبْلَاهُ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فاحذر أن يكون شبابك أمانةً ضيّعتها.

٣. أين تجتهد؟

- **في دينك**: صلاتك في وقتها، وِوردك، وعلمك الشرعي، وعبادتك الخفيّة. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٣٣).
- **في علمك**: اطلب العلم كل يوم ولو قليلًا، فمن لم يتعلّم تأخّر. وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:

١١٤).

- **في عملك**: أتقن ما تعمل، وكن أول الحاضرين وآخر المقصّرين. وقال ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» (رواه البخاري)، وقال: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا**» (رواه البخاري). فالكسب بالجهد عزّة.

- **في جسدك وبيتك وأهلك**: كما أوصيتك في الوصايا السابقة، فهي كلها تحتاج جدًّا وإخلاصًا.

- **في سلوكك وخلقك**: فهو أيضًا يُبنى بالمجاهدة اليومية، لا بالأماني.

٤. كيف تكون مجتهدًا؟

- **ضع هدفًا واضحًا** وقسّمه إلى خطواتٍ صغيرة، فمن لا يعرف وجهته لا يبلغ شيئًا.
- **ابدأ الآن** ولا تنتظر الظرف المثالي؛ فالظرف المثالي لا يأتي، والبداية الناقصة خيرٌ من الانتظار الكامل.

- **احفظ وقتك**: فالوقت رأس مالك الحقيقي، وكل ساعةٍ تمرّ لا تعود.
- **لا تؤجّل عمل اليوم إلى غد**؛ فالغد قد لا يأتي، وإن أتى جاء بأعماله.
- **اصبر على الطريق**: فالنجاح لا يأتي في يوم، بل يأتي بتراكم الأيام. والفلاح لا يحصد حين يزرع.
- **اصحب أصحاب الهمم العالية** فإن الهمم تنتقل بالمخالطة، وابتعد عن المثبّطين والمستهترين.

- **ثم ثق بالله وتوكل**: فأنت تبذل السبب والله يعطي النتيجة، فلا تغتر بجهدك، ولا تيأس إن تأخّر الثمر.
- **ولا تُنهك نفسك**: فاجتهادك بقدر طاقتك، ولجسدك حقّ عليك، فاجمع بين الجدّ والراحة المعتدلة؛ فمن أنهك نفسه انقطع في منتصف الطريق.

يا بني، لا تكن ممن يعيش بلا هدف، ولا ممن يزرع في الأحلام ويحصد في الندم. كن ممن إذا بدأ أتمّ، وإذا وعد أوفى، وإذا قصّر عاد. واعلم أن

الدنيا مزرعة الآخرة، فازرع فيها من الخير ما تحصده يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

الوصية الخامسة عشرة

طوِّر نفسك.. وزكِّها

يا بني، لا تقف عند ما أنت عليه؛ فالإنسان إما صاعدٌ وإما هابط، ولا مكان للمقيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). فابدأ التغيير من نفسك، واجعل تطويرها عادةً لا تنقطع، وتزكيتها غايةً لا تغفل عنها.

١. تزكية النفس.. أصل التطوير

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩ - ١٠). فالفلاح معلّق بتزكية النفس، أي تطهيرها من الرياء والكبر والحسد وسوء الظن، وتنميتها بالإخلاص والتواضع والصدق والرحمة. وكان النبي ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا» (رواه مسلم). فاسأل الله ذلك، ثم جاهد نفسك:

- **صحّح نيّتك** قبل كل عمل، واسأل: لمن أعمل؟

- **راقب لسانك وقلبك**: فمنهما تتسرّب أكثر العيوب.
- **حاسب نفسك** كل ليلة، وسجّل ما قصّرتَ فيه لتتداركه.
- **قلّل من الشكوى والمقارنة**، وأكثر من الشكر.
- **اصحب الأخيار** وابتعد عن كل ما يفسد قلبك.

٢. العلم.. والتطوير المستمر

قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، وقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (رواه مسلم). فاجعل لنفسك نصيباً يومياً من القراءة والتعلّم، ولو صفحاتٍ قليلة؛ فمن لم يتعلّم كل يوم تأخّر وإن ظنّ أنه ثابت.

وقال تعالى على لسان صاحب موسى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

فالكفاءة مع الأمانة هي التي تفتح لك أبواب الرزق والمكانة؛ فلا يكفي أن تكون صالحًا، بل يجب أن تكون صالحًا **وقادرًا**.

٣. المهارات الأساسية

اكتسب من المهارات ما لا غنى لرجلٍ عنه، وتعلّم منها شيئًا كل عام:

- **القراءة الجيدة والكتابة الواضحة** والتعبير عن نفسك بإيجاز ووضوح.
- **التحدث أمام الناس** والإنصات الجيد والحوار الهادئ.
- **إدارة الوقت** والتخطيط وترتيب الأولويات.
- **إدارة المال**: الميزانية، والادخار، وتجنب الديون التي لا حاجة لها.
- **التفكير الناقد**: ألا تصدّق كل ما تسمع، وأن تتثبّت وتقارن.

- **مهارات الحياة:** كالسباحة، والإسعافات الأولية، وقيادة السيارة، وإصلاح الأعطال البسيطة في البيت.
- **مهارتك المهنية** التي تكسب بها رزقك: أتقنها حتى تُعرَف بها.

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»** (رواه مسلم). فمهما تعلّمتَ فأحسنه وأتقنه.

٤. الحاسوب وبرامجه

إن العالم اليوم يُدار بالحاسوب، ومن جهله صار أمّيًّا في عصره. فتعلّم:

- **برامج المكتب** كالمعالجات النصية وجداول البيانات والعروض التقديمية، فهي أدوات كل عملٍ تقريبًا.
- **البريد الإلكتروني** وتنظيم الملفات والبحث الفعّال عن المعلومة.
- **أساسيات الأمان الرقمي**: كلمات المرور القوية، وحذر الروابط والرسائل المشبوهة، وألا تنشر

أسرارك وأسرار بيتك كما أوصيتك.

- **ما يخصّ مجال عملك** من برامج وأدوات متخصصة.
- **أدوات الذكاء الاصطناعي** باعتدال وحكمة: استعن بها لتتعلّم وتسرّع عملك، ولا تجعلها بديلًا عن عقلك وجهدك، وتحقّق مما تقوله لك.

وكن تلميذًا دائمًا، فالأدوات تتغيّر، ومن توقّف عن التعلّم تجاوزه الزمان.

٥. إتقان اللغة الإنجليزية

اللغة الإنجليزية اليوم هي لغة العلم والتقنية والأعمال، وبها يُفتح لك بابٌ واسع من المعرفة والفرص. وقد جعل الله اختلاف الألسنة آيةً من آياته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: ٢٢)، وجعل التعارف غاية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣). ولا يتم التعارف بغير لغةٍ مشتركة.

وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلّم لغة اليهود لحاجة المراسلة، فتعلّمها في أقلّ من شهر (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فتعلّم لغات الناس لحاجة الدين والدنيا أمرٌ مشروع، بل مطلوب.

وإليك طريقًا عمليًّا:

- **خصّص كل يوم وقتًا ثابتًا** ولو نصف ساعة؛ فالاستمرار أهمّ من الكثرة.
- **اجمع بين الأربع**: القراءة والاستماع والكتابة والمحادثة، ولا تكتفِ بإحداها.

- **اقرأ وشاهد** ما تحب بالإنجليزية، حتى تألف أذنك الأسلوب والنطق.
- **تعلّم الكلمات في جُمل** لا مفردةً مجردة، وراجعها بانتظام.
- **تكلّم ولا تخشَ الخطأ**؛ فالخطأ سُلّم التعلّم، ومن خاف الخطأ لم يتكلّم.
- **ابحث عن شريك محادثة** أو معلّم أو دورة جيّدة تعينك.
- **لا تهجر لغتك العربية ولا لغة القرآن**؛ فهي هويتك، وإتقان لغة غيرك لا يكون على

حساب لغتك، بل يزيدك قدرةً على نقل ما عندك إلى العالم.

٦. كيف تستمر؟

- **ضع خطةً سنوية** بأهدافٍ محددة: ماذا أتعلّم هذه السنة؟ وماذا أُتقن؟
- **اجعل لك قدوةً ومرشدًا** من أهل الخبرة، واستشره كما أوصيتك.
- **راجع نفسك** كل أسبوع وكل شهر: ماذا أنجزت؟ وماذا أهملت؟

- **اكتب** أهدافك وإنجازاتك، فما لا يُكتب ينسى.
- **لا تيأس من البطء**؛ فمن مشى كل يوم خطوةً بلغ، وإن بدت الخطوة صغيرة.
- **وتواضع**، فمن ظنّ أنه بلغ المنتهى وقف.

يا بني، اجعل عمرك رحلةَ صعودٍ دائم: روحٌ تزداد نقاءً، وعقلٌ يزداد علمًا، ويدٌ تزداد إتقانًا. ومن كان اليوم خيرًا من أمسه، فهو في ربح.

الوصية السادسة عشرة

احفظ القرآن.. يحفظك

يا بني، إن لي أمنيةً لا أستحي أن أبوح بها: أن تكون من حَفَظة كتاب الله. فابدأ حفظ القرآن الكريم، فمن حفظ كتاب الله حفظه الله، وكان تاجًا على رأس والديه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧). فالله يسّره لك، فلا تقل: لا أستطيع.

١. القرآن في صدرك.. حفظٌ ونور

وصف الله القرآن بأنه ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩)، فمحلّه الصدور لا الأوراق فقط. وقد تكفّل الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وجعل من حفظه في صدره سببًا لحفظ نفسه. وقد علّمنا النبي ﷺ أن الله يحفظ من حفظ حدوده وأوامره، كما قال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). وما أولى حافظ القرآن بهذا الحفظ!

وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (رواه البخاري). وقال: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» (رواه مسلم). فالقرآن يشفع لك، ويدافع عنك، ويرفعك.

٢. تاجٌ لوالديك

قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ» (رواه أبو داود، وحسّنه جماعة من أهل العلم). تأمّل يا بني: تاجٌ من نور على رأس أبيك وأمك، يراه الخلائق، لا لشيءٍ إلا لأنك حفظتَ كتاب ربّك

وعملتَ به. فأيّ برٍّ أعظم من هذا؟ وأيّ هديةٍ أغلى؟

ولن يكون هذا التاج لمن حفظ ولم يعمل؛ فالحديث قال: «وَعَمِلَ بِهِ». فاحفظ القرآن، ثم اجعله منهجًا لحياتك.

٣. منزلتك عند آخر آية تقرؤها

قال ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» (رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فعلى قدر ما تحفظ ترتفع، وكل آيةٍ تزيدها درجة. وقال

ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» (متفق عليه). فلا تيأس إن ثقل عليك الحفظ؛ فلك أجران: أجر القراءة وأجر المشقة.

٤. كيف تبدأ؟

- **ابدأ الآن** ولو بآياتٍ يسيرة؛ فالبداية الصغيرة المستمرة تصل، وكل حرفٍ بحسنة.
- **تعلّم التجويد وصحّح تلاوتك** على شيخٍ متقن أو معلّمٍ مجاز؛ فالتلقّي أصل في القرآن، فلا تعتمد على نفسك وحدك.

- **اختر مصحفًا واحدًا** تحفظ منه وتراجع، حتى ترسخ صورة الصفحة في ذهنك.
- **قرّر قدرًا يوميًا** تقدر عليه، كخمس آيات أو نصف صفحة ثم تزيد، والأهم الاستمرار لا السرعة.
- **اجعل الحفظ بعد الفجر** حين يصفو الذهن، والمراجعة بعد العصر أو قبل النوم.
- **كرّر الآيات** مرارًا، واربط بين معانيها، وافهم معناها قبل أن تحفظها؛ فالمعنى يُثبّت اللفظ.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء:

٨٢)، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص: ٢٩).

- **ابدأ مما أنت عليه**: بسورة البقرة التي أوصيتُك أن تقرأها كل يوم، أو بجزء عمّ لقصر سوره ثم ما بعده.
- **انضمّ إلى حلقةٍ** أو رفقةٍ تحفظ معك، فالجماعة تعين على الثبات.

٥. المراجعة أهمّ من الحفظ

قال ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا» (متفق عليه). فالقرآن يتفلّت إذا أُهمل، فاجعل المراجعة اليومية جزءًا لا ينفصل من وردك، وصلِّ بما حفظتَ في قيامك وصلواتك، فالصلاة أعظم مراجِعٍ للحفظ.

ولا تجعل الحفظ سباقًا بلا ثبات: حفظُ صفحةٍ واحدة ثابتة خيرٌ من عشر صفحاتٍ تتفلّت. وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ،

وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فكل حرفٍ تحفظه وتتلوه ربحٌ مضاعف.

٠٦. وصيةٌ من قلب أبيك

يا بني، لا أطلب منك أن تحفظ في سنةٍ ما يحفظه غيرك في عشر، بل أن **تبدأ ولا تتوقف**. وإن بدأتَ فأنا أبدأ معك بما أستطيع، وأسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته. فإذا بلغتَ ما بلغتَ، فاذكر أباك وادعُ له.

فاحمل القرآن في صدرك يحملك يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

الوصية السابعة عشرة

الدعاء الدعاء.. والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ

يا بني، إذا ضاقت بك السبل وأُغلقت الأبواب كلها، فهناك بابٌ لا يُغلَق أبدًا: **باب الدعاء.** فهو الملجأ إذا اشتدّ الخطب، وهو المفتاح إذا استعصى القفل، وهو الزاد الذي تلقى به ربّك. فالزَم الدعاء

والاستغفار والذكر والصلاة على نبيّك ﷺ، ولا تتركها في رخاءٍ ولا شدّة.

١. الدعاء.. ملجأ العبد

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦). فاللهُ قريبٌ منك، يسمعك ويجيبك، ولا حجاب بينك وبينه. وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢).

وقال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» (رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فالدعاء ليس طلب حاجةٍ فحسب، بل هو لبّ العبادة وإقرارٌ بالفقر إلى الله.

وكان ﷺ يقول عند منامه: «**لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**» (متفق عليه). فلا ملجأ من الله إلا إليه.

وانظر كيف دعا الأنبياء في أشدّ الضيق، فجاءهم الفرج: يونس في بطن الحوت وظلمات ثلاث: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، فكان الجواب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ

مِنَ الْغَمِّ﴾ (الأنبياء: ٨٨). وأيوب في بلائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣). وزكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩). كلهم أغلقت دونهم الأسباب، فلم يجدوا غير هذا الباب.

وعند الكرب علّمنا ﷺ أن نقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (متفق عليه).

٢. الاستغفار.. مفتاح الفرج والرزق

قال تعالى على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (نوح: ١٠ - ١١). فجعل الاستغفار سببًا للغفران وللرزق والبركة. وقد مرّ بك أن النبي ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة. وأعظم صيغه سيّد الاستغفار، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ

لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» (رواه البخاري).

فإذا أذنبتَ فلا تيأس ولا تؤخّر؛ استغفر من فورك، فربّك غفورٌ رحيم، وما أقرب الرحمة ممن طلبها.

٣. الذكر والصلاة على سيدنا محمد ﷺ

أما الذكر فقد أوصيتُك به في وصيةٍ مستقلة، فاجعله رفيق يومك. وأما الصلاة على النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» (رواه مسلم).

وجاء رجلٌ فقال: يا رسول الله، أجعل لك صلاتي كلها (أي دعائي كلّه)؟ قال ﷺ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن).

فالصلاة على النبي ﷺ تكفي الهمّ وتمحو الذنب، فأكثر منها، وابدأ دعاءك بحمد الله والصلاة على نبيّه.

٤. كيف تدعو؟

- **ادعُ بيقينٍ وحضور قلب**، وأحسن الظن بربك:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: ٥٥).

- **ابدأ بالثناء على الله** بأسمائه وصفاته، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم اسأل.

- **اختر الأوقات الفاضلة**: الثلث الأخير من الليل، قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»

(متفق عليه). وفي السجود: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» (رواه مسلم). وفي يوم الجمعة ساعةٌ يُستجاب فيها الدعاء (متفق عليه).

- **لا تستعجل الإجابة:** قال ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» (متفق عليه). فالله يجيب إما بما سألتَ، أو بما هو خيرٌ منه، أو بصرف شرٍّ عنك، فلا يضيع دعاءٌ أبدًا.

- ادعُ لإخوانك ولوالديك وأهلك: قال ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ» (رواه مسلم).

- ألحّ ولا تملّ، وعُد إلى الدعاء كلما ضاق صدرك، فالباب مفتوح.

٥. الزاد قبل اللقاء

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠). وقال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (متفق عليه).

فكل يومٍ يمضي يقرّبك من لقاء ربّك، وإن أعظم ما تزوّد به: دعاءٌ صادق، واستغفارٌ دائم، وذكرٌ لا ينقطع، وصلاةٌ على نبيّك ﷺ. وقد قال ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم). فمن عاش على الذكر رُجي له أن يموت عليه.

يا بني، إذا أغلقت في وجهك الأبواب فادخل من هذا الباب. ارفع يديك إلى ربّك، وناجِه في خلوتك، واذكر أباك في دعائك كما أذكرك في

دعائي، فإنّ الدعاء بين الآباء والأبناء عروةٌ لا تنفصم، وهو آخر ما يبقى حين ينقطع كل شيء.

الوصية الثامنة عشرة

اغتنم مواسم العبادة.. وخير الأعمال ما قلّ ودام

يا بني، للعمر مواسم تمرّ كما يمرّ السحاب، فمن اغتنمها أمطرته خيرًا، ومن غفل عنها فاتته. وقد جعل الله لعباده أيامًا وليالي عظيمة يضاعف فيها الأجر، وفتح فيها أبوابًا من الرحمة، فلا تدعها تمرّ

دون أن يكون لك فيها نصيب: **صيامٌ وقيامٌ وأضحيةٌ وذكر.** وكن في ذلك كله حكيمًا: **خير الأعمال ما قلّ ودام.**

١. رمضان.. صيامٌ وقيام

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). فالصيام مدرسةٌ للتقوى، تُربّي فيها نفسك على الصبر وضبط الشهوة.

وقال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وقال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليهما). وقال ﷺ فيما يرويه عن ربّه: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه). وقال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ» (متفق عليه).

وفي رمضان ليلةٌ هي أعظم الليالي: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣). وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذَنْبِهِ» (متفق عليه). وكان ﷺ «يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم). فاجتهد في العشر الأواخر قيامًا وذكرًا ودعاءً وقرآنًا، وقد أوصيتُك بكل ذلك من قبل.

٢. عشر ذي الحجة.. والأضحية

قال ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يعني أيام العشر، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» (رواه البخاري). فأكثر فيها من الصيام

والذكر والصدقة والقرآن، وقد قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨).

ويوم عرفة له شأنٌ خاص، قال ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» (رواه مسلم). فاحرص على صيامه إن لم تكن حاجًّا.

وأما **الأضحية** فهي شعيرةٌ من شعائر الله، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢). وهي سنّةٌ مؤكدة عند جمهور أهل العلم، وضحّى النبي ﷺ بنفسه: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا

بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ» (متفق عليه). فاضحِّ إن قدرتَ، وأشرك أهلك في الفرح، وأطعم الفقراء، وتحرَّ سلامة الذبيحة ونظافتها وشروطها الشرعية، واسأل أهل العلم عمّا تشكّ فيه.

٣. مواسم العام.. ومواسم الأسبوع والشهر

- ستٌّ من شوال: قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (رواه مسلم).
- يوم عاشوراء: قال ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»

(رواه مسلم).

- **ثلاثة أيام من كل شهر:** قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ» (متفق عليه). فهذه وصية النبي ﷺ لصاحبه، وأنا أوصيك بها كما أوصاه.

- **الاثنين والخميس:** قال ﷺ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن).

- **قيام الليل:** قال ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم). فاجعل لك منه ولو ركعتين قبل الفجر.

٤. خير الأعمال ما قلّ ودام

قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه)، وقال: «**اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ**» (متفق عليه). وهذا هو المعنى الذي تختصره العبارة المشهورة: **خير الأعمال ما قلّ ودام.**

فلا تحمّل نفسك في الموسم ما لا تطيق، ثم تنقطع بعده. وقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله

عنهما: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**» (متفق عليه). فاختر قدرًا تستطيع المداومة عليه، ولو قليلًا.

- **ضع خطةً قبل الموسم**: ماذا أصوم؟ وكم أقرأ؟ وكيف أقوم؟
- **ابدأ بالواجبات** قبل النوافل، ثم زِد.
- **لا تغفل عن صحتك**: فمن غلبه المرض أو السفر فله العذر، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

(البقرة: ١٨٤). وفي الإفطار اعتدل في طعامك كما أوصيتُك.

- **لا تجعل المواسم وحدها عبادتك**: فهي حوافزُ ترفعك، وتبقى بعدها على عادةٍ ثابتة طول العام.
- **لا تتفاخر بعبادتك** ولا تعلنها؛ فالخفيّ أحبّ إلى الله وأبعد عن الرياء.

يا بني، اغتنم شبابك وصحتك وفراغك في هذه المواسم، فكم من إنسانٍ أدرك رمضان ولم يُدرك مثله مرةً أخرى!

الوصية التاسعة عشرة

اغتنم الفرصة.. فإنها تمرّ مرّ السحاب

يا بني، الفرص كالسحاب: تمرّ فوق رأسك مرةً، فمن مدّ يده إليها ناله خيرها، ومن تردّد حتى غابت ندم. وقد قال ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ» (رواه مسلم)، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨).

وأقسم الله بالعصر لأن الوقت هو ميدان الفرص: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ١ - ٢). ومن أراد ألّا يخسر فليغتنم ما بين يديه.

وقال ﷺ لرجلٍ يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (رواه الحاكم، وصحّحه جماعة من أهل العلم). فكل ما بين يديك اليوم فرصةٌ قد لا تعود.

وأوصيك أن تغتنم ثلاث فرص بالذات:

١. فرصةٌ للتعلّم

كل مجلس علمٍ فرصة، وكل معلّمٍ صادق فرصة، وكل كتابٍ نافع فرصة، وكل خبيرٍ يقبل أن يعلّمك فرصة. وانظر إلى موسى عليه السلام، وهو نبيٌّ كليم، كيف قال لمن هو أقلّ منه شهرةً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٦).

فلم يستحِ أن يتعلّم، ولم يستكبر أن يتبع. فمن استحيا أن يتعلّم، فاته خيرٌ كثير.

- **اغتنم من هو أعلم منك** فاجلس إليه واسأله، وخذ من تجربته.

- **اغتنم الدورات والمنح والفرص التدريبية في** دينك وعملك ولغتك ومهاراتك.
- **اغتنم أوقات فراغك وشبابك** فهي أخصب أوقات التعلّم.
- **لا تؤجّل:** فكم من فرصةٍ ضاعت بكلمة «سأفعل لاحقًا».

٢. فرصةٌ لعملٍ أفضل

قد تأتيك فرصة عملٍ أفضل: أكرم راتبًا، أو أنفع أثرًا، أو أبرك رزقًا، أو أقرب لأهلك ودينك. فلا

تتركها بحجة الراحة أو الخوف. وقد عرض يوسف عليه السلام نفسه على الملك حين رأى أنه أهلٌ لذلك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥)، فكانت فرصةً غيّرت حياته وحياة أمة.

وإذا جاءتك فرصة فاجمع بين أمور:

- **تأكّد من حلّها وطيب كسبها**، فلا خير في فرصةٍ فيها حرام، ولا في دنيا تهدم دينك.
- **استشر أهل الخبرة** كما أوصيتُك، ووازن بين المكسب والتكلفة، وبين العاجل والآجل.

- **استخر ربّك:** قال ﷺ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ» (رواه البخاري). ثم امضِ متوكلًا على الله.

- **كن مستعدًّا قبل أن تأتي الفرصة**؛ فالفرصة تذهب إلى من تهيّأ لها بالعلم والمهارة والسمعة الحسنة، فاجتهد وطوّر نفسك كما أوصيتُك.

- **وإن فاتتك فرصة** فلا تقعد على أطلالها؛ فقد تكون الخيرة في غيرها، وقل: «قَدَرُ اللَّهِ وَمَا

شَاءَ فَعَلَ» (رواه مسلم)، وانتظر الفرصة التالية.

٣. فرصةٌ لعلاقةٍ صحيّةٍ صحيحةٍ ذات فوائد

أنفع الفرص علاقةٌ صالحة: صديقٌ يُعينك، أو شريك حياةٍ يسكن إليك، أو زميلٌ ومرشدٌ يرفعك. قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث حسن). وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ» (متفق عليه): فحامل المسك يُعطيك منه، أو تشتري منه، أو تجد منه ريحًا طيبة؛ ونافخ الكير يحرق ثيابك أو

تجد منه ريحًا خبيثة. وقال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (متفق عليه). فانظر من تحب ومن تصحب.

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨). وفي الزواج قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

وكيف تعرف العلاقة الصحيّة الصحيحة؟ بهذه العلامات:

- **تقرّبك من الله** ولا تبعدك عنه، وتنصحك وتذكّرك، وتعينك على الخير.
- **قائمةٌ على الصدق والاحترام**، لا على المجاملة الكاذبة ولا المصلحة المجرّدة.
- **تحفظ السرّ وتصون الكرامة**، ولا تفشي أسرار بيتك ولا أسرارك.
- **فيها نفعٌ متبادل**: تعطي فيها وتأخذ، لا استنزافٌ من طرفٍ واحد.
- **منضبطةٌ بحدود الشرع**، فلا خلوةٌ ولا علاقةٌ محرّمة؛ قال ﷺ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا**

مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ» (متفق عليه). فالعلاقة الصحيحة تُبنى في النور، لا في الخفاء.

- **تزيدك قوةً وثقةً وسكينة**، ولا تُشعرك بالنقص والقلق الدائم.
- **وللزواج خاصةً**: ابحث عن الدين والخلق والمودّة قبل غيرها، واستشر أهلك وأهل الخبرة، واستخر ربّك.

وإن رأيتَ علاقةً تدفعك إلى الذنب، أو تستهزئ بدينك، أو تستنزف مالك وصحتك وسكينتك،

فابتعد عنها بإحسانٍ وهدوء، ولا تخف من الوحدة؛ فالوحدة مع الله خيرٌ من رفقةٍ تُضيّعك.

يا بني، الفرص لا تُنتظر، ولكنها تُصنع بالاستعداد وتُغتنم بالبصيرة. فاسأل الله أن يُيسّر لك الخير حيث كان، وأن يرزقك البصيرة لتراه، والعزيمة لتأخذه، والتوفيق لتحسن استعماله.

الوصية العشرون

كن مستعدًّا دائمًا

يا بني، لا تنتظر الظروف حتى تفاجئك، بل كن دائمًا على أهبة الاستعداد: **مستعدًّا للعمل، ومستعدًّا للعبادة، ومستعدًّا للموت، ومستعدًّا للصدمة.** فمن أخذ أهبته لم تُربكه المفاجآت، ومن غفل دهمته الأحداث وهو أعزل. وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠). والإعداد سنّة الله في عباده.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما، وقد أخذ النبي ﷺ بمنكبيه فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، فكان يقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (رواه البخاري). فهذه قاعدة الاستعداد كلها.

١٠ مستعدّ للعمل

فرص العمل لا تنتظر، والعمل لا يرحم المتأخر. فكن:

- **متهيّئًا بالمهارة والعلم** كما أوصيتُك، فلا تنتظر حاجتك إلى المهارة حتى تتعلّمها.
- **منظَّمًا**: عُدّتك جاهزة، ووقتك مرتّب، ووثائقك محفوظة، وخطتك واضحة.
- **مبكّرًا** في حضورك، مُتقنًا في عملك، أمينًا في وعدك.

- **مدّخرًا لوقت الشدة:** فقد علّمنا يوسف عليه السلام درس الاستعداد للأزمات حين قال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: ٤٧). فاحتفظ بمدّخرٍ يعينك إذا انقطع رزقك أو نزلت بك حاجة، ولا تُنفق كل ما في يدك.

- **ذا خطةٍ بديلة** إذا فشلت خطتك الأولى، ولا تُعلّق كل آمالك بباب واحد.

- **مستمرًّا في العمل مهما كان الأمر:** قال ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ

اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (رواه أحمد، وصحّحه جماعة من أهل العلم). فاستمر في العمل النافع إلى آخر لحظة.

٢. مستعدٌّ للعبادة

العبادة لا تحتمل التأجيل. فكن:

- على طهارةٍ ما استطعتَ، قال ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» (رواه مسلم).
- سبّاقًا إلى الصلاة في أول وقتها: سُئل ﷺ: أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى

وَقْتِهَا» (متفق عليه). فاجعل ملابسك وقبلتك ووقتك جاهزة، ولا تجعل شيئًا من الدنيا يشغلك عنها.

- **مواظبًا على وردك** من القرآن والذكر والدعاء ولو كان قليلًا، فإذا جاء الموسم وجدتَ نفسك مدرّبة.
- **مستعدًّا لموسم الطاعات** قبل قدومه، كما أوصيتُك في الوصية السابقة.
- **ذا علاقةٍ بربك في الرخاء** قبل الشدة: قال ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي**

الشِّدَّةِ» (رواه أحمد، وصحّحه جماعة). فمن عرف الله في سعته، وجده في ضيقه.

٣. مستعدٌّ للموت

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨). فالموت حقٌّ لا ريب فيه، يأتي على غير موعد، لا يُفرّق بين صغيرٍ وكبير. وقال ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتَ» (رواه الترمذي والنسائي، وهو حديث حسن). وليس

المقصود أن تعيش خائفًا، بل أن تعيش خفيفًا، وأن يكون ذكر الموت حاديًا لك إلى العمل الصالح.

وقد قال ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» (متفق عليه). وما هذا الكتاب الذي بين يديك إلا شيءٌ من هذه الوصية. فاستعدّ بما يأتي:

- **التوبة الدائمة** وعدم تأجيلها، فلا تدري متى يُؤخذ العبد.

- **أداء الحقوق ورد الأمانات**: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

(النساء: ٥٨)؛ فقضاء الدين، وردّ المظالم، والصلح مع من خاصمتَ، من أعظم الاستعداد.

- **كتابة وصيتك** ومعرفة أهلك بما لك وما عليك، فيسهل عليهم الأمر بعدك.
- **الإكثار من الأعمال الجارية:** صدقة، وعلمٌ ينتفع به، وولدٌ صالح يدعو لك.
- **الحرص على حسن الخاتمة:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، وقال ﷺ: «**لَقِّنُوا**

مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم). وقال تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩).

وهنا تنبيه مهم: لا تتمنَّ الموت أبدًا مهما ضاقت بك الدنيا، فقد قال ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ» (متفق عليه). فالاستعداد للموت غير تمنّيه، وكلما طال عمرك في طاعةٍ كان خيرًا لك.

٤. مستعدٌّ للصدمة

كما أوصيتُك في وصية الرضا بالقضاء والقدر، فالدنيا دار ابتلاء، وقد تأتي الصدمة من حيث لا

تحتسب. فاستعدّ لها قبل وقوعها:

- **وطّن قلبك** على أن ما بيدك عاريةٌ تُسترد، وأن الله أرحم بك من نفسك.
- **حافظ على صلتك بالله** في الرخاء، فهي رصيدك في الشدّة.
- **كوّن حولك دائرة أمانٍ** من أهلٍ وأصدقاء صالحين تلجأ إليهم، ولا تعتزل الناس.
- **حافظ على صحتك** بفحصٍ دوري وعادات سليمة، فإن الأزمات تصيب الضعيف أشدّ.

- **جهّز نفسك ماليًا** بمدّخرٍ يقيك مفاجآت الحياة.
- **اجعل أوراقك مرتبة** وأرقام أهلك في متناول يدك.
- **احفظ أذكار المصيبة والكرب** كما مرّ بك، فإنها أول ما تحتاجه في اللحظة الأولى.
- وإن لم تُطِق حملًا فاطلب العون، ولا تحمل عبء الصدمة وحدك.

يا بني، كن كالجندي المتأهّب: يقظًا، جاهزًا، مطمئنًّا. إن جاء العمل وجدك مستعدًّا، وإن

جاءت الصلاة وجدتك سبّاقًا، وإن جاء الموت وجدك على خير، وإن جاءت الصدمة وجدتك ثابتًا. فتلك هي حياة المؤمن: عملٌ بلا تهاون، وعبادةٌ بلا كسل، وموتٌ بلا خوفٍ مُقعد، وصبرٌ عند كل بلاء.

الوصية الحادية والعشرون

اعرف من حولك.. تحسن التعامل وتأمن الشرّ

يا بني، في بيئة العمل ومقاعد الدراسة ستعيش بين أصنافٍ شتّى من الناس، فيهم الصادق والكاذب، والناصح والغاشّ، والكفء والمتسلّق. وأوصيك أن تدرس الشخصيات القريبة منك والمؤثّرة في

حياتك: مديرك وزملاءك وأساتذتك وأصحابك؛ لتتعامل مع كلٍّ منهم بحكمة، وتستفيد منه، وتتحصّن من شرّه. وليس ذلك سوء ظنٍّ ولا تجسّسًا، بل هو فِقهٌ بالناس وفراسة.

١. لماذا تدرسهم؟

قال ﷺ: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**» (متفق عليه). فالناس يختلفون في معادنهم كما تختلف المعادن، ومن جهل ذلك عامل الذهب كما يعامل التراب. وقال ﷺ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» (متفق عليه). فالمؤمن فطنٌ، يتعلّم من الدرس

الأول، ولا يعرّض نفسه للأذى مرّتين. وقال ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (رواه مسلم). فبعض الناس تأنس إليهم، وبعضهم تنفر منهم، فاحترم هذا الشعور ولكن لا تحكم به وحده.

٢. كيف تدرسهم؟ بالملاحظة لا بالتجسّس

قال تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

(الحجرات: ١٢)، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦). فاجعل الأصل حسن الظن، ولا تُتبع الناس عيونًا ولا تتّبع عوراتهم، وإنما راقب ما يظهر لك من أفعالهم ومواقفهم. وانظر إلى:

- **أفعالهم لا أقوالهم:** قال ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» (متفق عليه). فمن رأيته يكذب ويُخلف ويخون، فاعرف قدره ولا تأتمنه.

- **كيف يتحدّث عن الغائبين**: فمن ينقل إليك عن غيرك ينقل عنك إلى غيرك.
- **كيف يتصرّف عند الغضب أو الضغط أو المصلحة**: فهناك تظهر المعادن الحقيقية.
- **كيف يعامل الضعيف** ومن لا مصلحة له فيه.
- **هل له وجهان؟** قال ﷺ: «**شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**» (متفق عليه).
- **دوافعه ومصالحه**: ماذا يريد؟ ولماذا يقترب منك؟

- **ثباته:** هل هو ثابت الخلق أم متقلّب مع الريح؟

وتثبّت قبل الحكم: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦)؛ فلا تبنِ موقفك على كلمة ولا موقفٍ واحد، فقد يكون عذرًا أو سوء فهم.

٣. أصناف الناس.. وكيف تتعامل معهم

- **الناصح الصادق والكفء المجتهد:** اقترب منه، واستفد من علمه وخبرته، ووفِّه حقّه، وكن له عونًا.

- **المدير والمسؤول**: أطعه بالمعروف، وأدِّ ما عليك بإتقان، وتأدّب معه، فإن كلّفك بما يخالف دينك فلا طاعة في ذلك، قال ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**» (متفق عليه).

- **ذو الوجهين والمتملّق**: لا تُشاركه سرّك، وعامله بلطفٍ وحذر.

- **الحاسد**: لا تُكثر من ذكر نعمك أمامه، وتحصّن بالأذكار، واقرأ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥).

- **الفاحش والغليظ**: اتّقِ لسانه بالإعراض وحسن الخلق من غير مداهنة. وقد قال النبي ﷺ في رجلٍ فاحش: بئس أخو العشيرة، ثم ألان له القول إذا دخل، وقال لعائشة رضي الله عنها: «**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**» (متفق عليه). فعرف حقيقته، ولم يتخلّق بخُلُقه.

- **الثرثار والنمّام**: لا تأتمنه على سرّ، ولا تنقل إليه ما تكره أن ينتشر.

- **المستغلّ**: ضع له حدودًا واضحة، ولا تسمح له بأن يأخذ أكثر مما يعطي.
- **المثبّط والساخر من طموحك**: ابتعد عنه، فلا حاجة لك بمن يُطفئ همّتك.
- **المتقلّب**: لا تعتمد عليه في أمرٍ مهم.

وانظر إلى حكمة النبي ﷺ في فهم الناس: فلما فتح مكة، وكان أبو سفيان يحب أن يكون له شرف، قال: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ» (رواه مسلم). فخاطب كل إنسانٍ بما يُصلحه ويُلين قلبه.

٤. الاستفادة منهم

- **خذ من كل شخص أحسن ما فيه**: من هذا صبره، ومن ذاك إتقانه، ومن الثالث كرمه، ومن الرابع علمه.
- **اقترب من أهل الخبرة**، واسألهم واستشرهم، وتعلّم من أخطائهم قبل أخطائك.
- **كوّن شبكة علاقاتٍ نافعة** من الصالحين المجتهدين، فهي من أعظم رأس مالك.
- **تعلّم من المسيء أيضًا**: فرؤيتك لعيوبه تعلّمك ما لا تفعله.

- وكن أنت ممن يُستفاد منه، فأحسن الناس من نفع الناس.

٥. التحصّن من شرّهم

- بالأذكار والاستعاذة: قال ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم). وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ» (رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث حسن صحيح).

- **بحفظ سرّك وسرّ بيتك** كما أوصيتُك، فلا تُعطِ أحدًا ما قد يُؤذيك.
- **بتوثيق الحقوق**: اكتب اتفاقاتك وتعهداتك؛ قال تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢). واحفظ ما يحميك في عملك.
- **بالإعراض عن اللغو والجهّال**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:

٦٣)، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص: ٥٥).

- **بعدم الردّ بالإساءة:** فإن ظُلمتَ فلك حقّ الإنصاف، ولكن العفو أفضل إن كان فيه إصلاح: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠). وإن لم يندفع الشرّ إلا بذلك، فارفع الأمر إلى الجهة المسؤولة بالحق والأدب لا بالتشهير.

- **بالقول الحسن أو الصمت:** «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

(متفق عليه).

- **وبالتوكل على الله** فهو حسبك: لا يضرّك أحدٌ إلا بإذنه.

يا بني، لا تدرس الناس لتعاديهم، ولا لتخافهم، بل لتحسن إليهم وتحذرهم. ولا تنسَ أن تدرس نفسك أولًا؛ فقد يكون فيك من العيوب ما يراه غيرك فيك كما تراه فيهم. وسلاحك الأول بعد الله: خلقٌ حسن، وقلبٌ سليم، وعقلٌ يقظ.

الوصية الثانية والعشرون

إياك ثم إياك ثم إياك.. أن تحكم بالمظهر

يا بني، إياك ثم إياك ثم إياك أن تحكم على الناس من مظهرهم وشكلهم: من ثيابهم، أو ألوانهم، أو أجسامهم، أو لهجاتهم، أو بيوتهم وسياراتهم، أو أعمالهم وألقابهم. فما أكثر ما خدعت الصورة

أصحابها! وكم من ثوبٍ مرقّع يغطّي نفسًا نقية، وكم من حُلّةٍ فاخرة تغطي قلبًا خَرِبًا. والناس لا يُقاسون بما عليهم، بل بما فيهم.

١. الله لا ينظر إلى الصور

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم). فإذا كان ربّ العالمين لا ينظر إلى الصور، فكيف يجوز لنا أن نجعلها ميزان الحكم؟ وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). فالتقوى هي المعيار، لا الشكل ولا النسب ولا المال.

وقال ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» (رواه مسلم). أي: كم من رجلٍ أشعثَ الشعر، رثّ الثياب، تدفعه الأبواب ولا يُؤبَه له، وهو عند الله بمكانةٍ عظيمة. ومرّ بالنبي ﷺ رجلٌ ذو هيئةٍ وشرف فسأل أصحابه عنه، ثم مرّ رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» (رواه البخاري).

٢. المظهر قد يخدع

قال تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ

﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ (المنافقون: ٤). فقد يكون الجسم جميلًا، والكلام حلوًا، والقلب خاليًا كالخشب المسنّد. فلا تَغتَرّ بحُسن الهيئة وطلاقة اللسان، ولا تحتقر رثاثة الهيئة وتعثّر اللسان.

وقد وقع في هذا الخطأ قبلك الأمم: قال قوم نوح له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء: ١١١)، يعنون الفقراء الضعفاء. وقال بنو إسرائيل عن طالوت: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، فردّ عليهم ربّهم أنه ﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً

فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾. فإن كان الله اصطفى بغير الذي ظنّوا، فمن أنت لتحكم بغير علم؟

٣. وزنُ الرجال بالقلوب

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحيف الساقين، فضحك بعض الصحابة من دقّتهما، فقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» (رواه أحمد، وحسّنه جماعة). فقد يكون في ساقين نحيلتين ما يثقل الجبال. وقال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» (متفق عليه).

وسبّ أبو ذرٍّ رضي الله عنه رجلًا فعيّره بأمّه وسواد لونها، فقال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» (متفق عليه). فالنظر إلى الألوان والأنساب من خُلُق الجاهلية، لا من خُلُق الإسلام.

٤. الاستخفاف بالناس من الكبر

قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (الحجرات: ١١). وقال ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»، وقال: «التَّقْوَى هَاهُنَا» ويشير إلى صدره (رواه مسلم). وقال ﷺ:

«الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» (رواه مسلم)، أي ازدراؤهم واحتقارهم. فمن حكم على الناس بمظاهرهم احتقر من لا يُعجبه شكله، وهذا من الكِبر الذي حذّر منه النبي ﷺ.

٥. كيف تتخلّص من هذا الداء؟

- **أعطِ كل إنسانٍ فرصةً ليتكلّم ويُظهر ما عنده**، ولا تحكم من النظرة الأولى؛ فالانطباع الأول قد يخطئ.
- **اسأل نفسك**: لو جاءني هذا الإنسان بثياب فلان، أكنتُ سأعامله هكذا؟

- **احكم بالأفعال والأخلاق** لا بالأشكال، كما أوصيتُك في معرفة من حولك: صدقه وأمانته ووفاؤه ومعاملته.

- **عامل الجميع بالاحترام ذاته:** المدير وعامل النظافة، والغني والفقير، والقريب والغريب. وقد جعل النبي ﷺ من خير الإسلام: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (متفق عليه).

- **لا تَنخدع بالمظهر الحسن** فتأمن من لا يُؤتمن، ولا تُعرض عن الفقير فتُفوّت خيرًا.

- **تذكّر أن الكتاب لا يُقرأ من غلافه:** فاقرأ المضمون قبل أن تحكم.
- **وتذكّر أنك نفسك قد تُظلم بمظهرك** يومًا، فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

ولا يعني هذا ألّا تحتاط؛ فقد أوصيتُك أن تعرف الناس وتتحصّن من شرّهم. ولكن شتّان بين الحذر المبني على الأفعال والتجارب، وبين الحكم المسبق المبني على الشكل واللون واللباس. الأول فِقه، والثاني ظلم.

وعن نفسك: إن الله جميلٌ يحب الجمال (رواه مسلم)، فاعتنِ بنظافتك وهندامك دون إسراف ولا تكبّر؛ ولكن لا تجعل مظهرك ميزان قيمتك ولا قيمة غيرك. فقيمتك في قلبك وعملك وخُلُقك.

يا بني، اجعل نظرك أعمق من العين، ورحمتك أوسع من الحكم، وإنصافك أعلى من الهوى. فمن أنصف الناس أنصفه الله، ومن ازدراهم ازدراه الناس، وحطّ نفسه من حيث ظنّ أنه رفعها.

الوصية الثالثة والعشرون

افهم الدنيا.. زائلةٌ ومتاعها مؤقّت

يا بني، أعظم ما يُنقذك من أكثر همومك أن تفهم الدنيا على حقيقتها: **دارُ ممرٍّ لا دارُ مقرّ، وظلٌّ زائل، ومتاعٌ مؤقّت.** فمن فهمها هكذا لم يتعلّق بها تعلّق الغريق بالقشّة، ولم يبكِ على ما فاته بكاء

الثكلى، ولم يفرح بما أُوتيه فرح البَطِر. ومن غفل عن ذلك جعلها غايته، فباع آخرته بها، ثم خرج منها خالي اليدين.

١. ما هي الدنيا؟

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد: ٢٠). ثم ضرب لها مثلًا بغيثٍ ينبت الزرع فيعجب الناظرين، ثم يهيج فتراه مصفرًّا ثم يكون حطامًا. أي أن أحلى ما فيها يذبل ويصير هشيمًا،

وهكذا العمر: خُضرةُ شباب، ثم اصفرار، ثم حطام.

وقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النساء: ٧٧). وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤). والحيوان: الحياة الحقيقية التي لا موت بعدها.

٢. الدنيا زائلة

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦ - ٢٧). فكل ما ترى سيذهب: الجاه، والمال، والصحة، والشباب، والأحبّة، وأنت معهم. وقال ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فما أنت إلا راكبٌ استظلّ ساعةً ثم يمضي.

وقال ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» (رواه

مسلم). انظر إلى الإصبع حين تُخرجها من البحر: كم يعلق بها من الماء؟ تلك هي الدنيا كلها إلى جانب الآخرة!

وقال ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ» (متفق عليه). فاسأل نفسك: أيَّ هؤلاء الثلاثة تُنفق فيه عمرك؟ أتعمّر ما سيُترَك، أم ما سيبقى؟

٣. متاعها مؤقّت.. فلا تُلهِك

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ١ - ٢). فكم من إنسانٍ شغله جمع المال والتفاخر حتى جاءه الموت وهو لاهٍ! وقال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ» (متفق عليه). فالنفس لا تشبع، ولا يملؤها إلا التراب، فلا تلهث وراء ما لا يُشبعك.

وانظر إلى قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١)؛ أُوتي من الكنوز ما تنوء مفاتحه

بالعصبة أولي القوّة، فما أغنى عنه ماله حين جاء أمر الله. ولا تحسد من أُعطي منها شيئًا، فقد قال ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن). فالغنى الحقيقي أمنٌ وعافيةٌ وكفاف، لا قصورٌ وأرصدة.

٤. لا تترك الدنيا.. ولا تسكنها قلبك

ولا تفهم من هذا أن تعتزل الدنيا وتترك العمل والكسب والأهل؛ فقد قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧). فالدنيا مزرعة الآخرة، وفيها يُزرع الخير الذي يُحصد هناك. وإنما المعيب أن تتعلّق بها وتجعلها همّك الأكبر. وقال بعض الحكماء: **اجعل الدنيا في يدك، ولا تجعلها في قلبك.** فإن ذهبت من يدك لم تتحطّم، وإن بقيت في يدك استعملتها في الخير.

- **اعمل واكسب واجتهد**، ولكن اجعل غايتك رضا الله وإعالة أهلك وخدمة الناس.
- **اقنع بما رزقك الله** وارضَ، فالقناعة كنزٌ لا يفنى، ولا تقارن نفسك بمن فوقك.
- **أنفق في الخير**: فما أنفقتَه في طاعة بقي، وما كنزتَه ذهب، وما تركتَه لغيرك صار حسابه عليك.
- **اعتدل في اللذات**: لا تحرّمها على نفسك، ولا تغرق فيها؛ فهي كالزاد في الطريق، يُؤخذ بقدر الحاجة.

- **لا تَبِع دينك بدنياك:** فلا تفرّط في صلاتك لأجل عمل، ولا في خُلُقك لأجل مال، ولا في حلالٍ لأجل ربحٍ حرام.
- **تذكّر الموت والقبر** كلما أعجبتك زينة؛ فهي تقصّر أملك وتُصلح عملك.
- **لا تحزن على ما فاتك منها** ولا تفرح بما أتاك فرحَ بطر، فكلاهما زائل، كما مرّ بك في آية الحديد.
- **لا تجعل علاقاتك قائمةً على المتاع والمظاهر** فقط، فالأحبّة الذين تحبّهم في الله هم الباقون.

يا بني، لقد رأيتُ من الدنيا ما يكفي لأقول لك: ما أسرع ما تمضي! كأنها حلمٌ في ليلةٍ ثم اليقظة. فلا تبكِ على فائتٍ منها، ولا تتشبّث بآتٍ، واجعل عملك للباقي. فمن أحسن فهم الدنيا أحسن العيش فيها، وأحسن الرحيل عنها.

الوصية الرابعة والعشرون

حديثك مع نفسك.. وكيدُ الشيطان

يا بني، لك في صدرك صوتٌ يحدّثك ليلًا ونهارًا لا يسمعه أحدٌ غيرك؛ يشجّعك أو يخذلك، يرفعك أو يُحبطك، يبعث فيك الأمل أو يجرّك إلى اليأس. فكن **يقظًا لحديثك مع نفسك دائمًا**، واجعله إيجابيًا

مشجّعًا، وابتعد كل البعد عن المناجاة السلبية؛ فهي مدخلٌ من مداخل وساوس الشيطان، يريد بها أن يُحزنك ويُقعدك.

١. الشيطان يريد أن يُحزنك

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (المجادلة: ١٠). فالشيطان يهمس في الصدور بما يُحزن ويُوهن، وهو لا يضرّك بشيءٍ إلا بإذن الله، وغايته أن يُحزنك ويضعفك. وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

﴿ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ (البقرة: ٢٦٨). فاسمع وعدَين: وعدَ الشيطان بالفقر والخوف، ووعدَ الله بالمغفرة والفضل. فأيهما أولى أن تصدّق؟

وقد قال الشيطان نفسه يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم: ٢٢). فليس له عليك سلطانٌ إلا الدعوة، فإن لم تستجب سقطت حُجّته. وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦). فلا تخف من وساوسه؛ فهي ضعيفةٌ إن واجهتَها بالإيمان.

٢. صور المناجاة السلبية

احذر من هذه العبارات التي تُلقيها على نفسك:

- «أنا فاشل، لن أنجح أبدًا.»
- «لا أحد يحبني، ولا أحد يفهمني.»
- «كل شيء ضدّي، وحظّي سيّئ.»
- «لقد انتهى الأمر ولا أمل.»
- «ما أنا إلا عبءٌ على أهلي.»

- «لن يغفر الله لي ذنبي.»
- «سيحدث لي الأسوأ، فأنا لا أستحقّ الخير.»

كل هذه عباراتٌ لا تُثمر إلا حزنًا وقعودًا وقنوطًا، وهي من همس الشيطان لا من الحقيقة. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)، وقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣).

وقد نهانا النبي ﷺ عن سبّ النفس واحتقارها فقال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي» (متفق عليه). أي: لا تصف نفسك بالخبث، بل قل: ضاقت نفسي أو كسلت. فحتى في وصف نفسك تخيّر الأدب. وتأمّل: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (رواه البخاري)، ومن حقّها أن تُحسن الحديث إليها.

٣. الحديث الإيجابي.. زادُ المؤمن

قال ﷺ: «يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» (متفق عليه). وقال: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (متفق عليه).

فاجعل كلمتك لنفسك طيبة، وتفاءل. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت: ٣٠). وقال ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» (رواه مسلم). وقال الله في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (متفق عليه). فإذا ظننتَ بربّك خيرًا وجدتَه، وإذا ظننتَ به غير ذلك فإنما أسأتَ إلى نفسك.

فبدّل عباراتك:

- بدل «لن أستطيع» قل: «سأحاول بإذن الله، وهو المعين.»
- بدل «أنا فاشل» قل: «أخطأتُ وسأتعلم، فمن لم يُخطئ لم يتعلّم.»
- بدل «لا أحد يفهمني» قل: «سأتحدّث مع من أثق به، وربّي يعلم ما في صدري.»
- بدل «انتهى كل شيء» قل: «وإن مع العسر يسرًا، والفرج قريب.»
- بدل «لن يغفر لي» قل: «ربي غفور رحيم، وأنا تائبٌ إليه.»

- بدل «سيحدث الأسوأ» قل: «حسبي الله ونعم الوكيل، والخيرة فيما اختاره الله.»

٤. كيف تحرس حديثك مع نفسك؟

- **اسمع ما تقوله لنفسك**: وانتبه لنبرته، فإن كان قاسيًا فاعدله، وتحدّث إلى نفسك كما تتحدّث إلى أخٍ تحبّه.
- **ليست كل فكرةٍ حقيقة**: فالخاطرة ليست قدَرًا ولا حكمًا. وقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»

(متفق عليه). فلا تُحاسب نفسك على كل وسواس، ولا تجعله حقيقةً.

- **استعذ بالله فورًا** إذا نزغ الشيطان: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)، وانتهِ عن الاسترسال فيه.

- **اجعل نفسك تتذكّر نِعَم الله**: فعدّد ما عندك من نعمٍ كل يوم، فإن الشكر يطرد الحزن.

- **حاسب نفسك محاسبةً بنّاءة** لا جلدًا للذات: ماذا أخطأتُ؟ كيف أصلحه؟ ثم امضِ.

- **لا تبقَ وحيدًا مع أفكارك طويلًا**: فالوحدة تُغذّي الوساوس؛ اخرج، وامشِ، وتحدّث مع أهلك وصحبتك الصالحة.

- **اشغل وقتك بما ينفع**: فالفراغ بيئةٌ خصبة للوساوس.

- **أكثر من الذكر والدعاء**، وقل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»

(رواه البخاري).

- **وإن ثقلت عليك الأفكار السوداء، أو استمرّ الحزن، أو شعرتَ بأنك لا تحتمل**، فلا تبقَ وحدك؛ تحدّث إلى من تثق به من أهلك، واطلب العون من مختصٍّ ثقة؛ فالاستعانة بالناس والعلاج من الأسباب المشروعة، ولا تنافي الإيمان.

٥. لا تدع الشيطان يخدعك أبدًا

وبما أن مدخل الشيطان إلى قلبك أحاديث نفسك، فاحذر أن يخدعك بحيلةٍ من حِيَله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو

حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦). فهو عدوّ، والعدوّ لا يأتيك إلا من ناحية ضعفك. وقد خدع أباك آدم بحلاوة النصيحة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف: ٢١ - ٢٢). أقسم لهما أنه ناصحٌ لهما! فاحذر كل من يزيّن لك المعصية باسم النصح والمصلحة. وقال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» (متفق عليه). أي أنه يصل إلى النفس من

مداخل خفيّة، فلا تأمن مكره. وهذه من أبرز حِيَله:

- **التسويف**: «غدًا أصلّي، وغدًا أتوب، وغدًا أبدأ.» وغدًا لا يأتي. فبادر الآن.
- **تهوين الذنب**: «إنه ذنبٌ صغير، والكل يفعله.» وقد قال الله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (النمل: ٢٤). فلا تحتقر صغيرًا من المعاصي.
- **الاستدراج بالخطوات**: يبدأ بنظرةٍ أو كلمةٍ أو خطوةٍ صغيرة، ثم يجرّك. وقد قال تعالى: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (النور: ٢١). فاقطع الطريق عند الخطوة الأولى.

- **اليأس بعد الذنب**: «لقد فعلتَ ما لا يُغفر.» وهو كذب، فباب التوبة مفتوح.
- **العُجب والرياء**: يُزيّن لك عملك حتى تحبطه بالتفاخر.
- **الغلوّ والتفريط**: يدفعك إلى الإفراط حتى تنقطع، أو إلى الإهمال حتى تضيع.

- **التحريش بين الناس:** قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (رواه مسلم). فاحذر أن يُفسد بينك وبين أهلك وإخوانك بكلمةٍ أو ظن.

- **الوحدة:** قال ﷺ: «الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» (رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح). فلا تعتزل أهلك وصحبتك الصالحة.

- **الكسل عن الطاعة:** قال ﷺ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ

عُقَدٍ»، ثم: «فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا» (متفق عليه). وهذا سرّ صلاة الفجر التي أوصيتُك بها أول الكتاب.

وكيف تنجو من حِيَله؟

- **عاده عداوةً حقيقية** ولا تصدّق وعده؛ فـ﴿مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء: ١٢٠).
- **استعذ بالله** عند أول وسوسة، ثم تذكّر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ

تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

فالتذكّر يُبصّرك فيسقط كيده.

- **حافظ على الأذكار والصلاة:** وقال ﷺ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ» (رواه البخاري). وقال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ» (متفق عليه).

- **توكّل على الله:** فإنه ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٩٩).

- تعلّم دينك وعلمًا نافعًا، فالجاهل أسهل فريسة.

- **أسرِع بالتوبة** كلما زللتَ، ولا تُمهله ليستمكن منك.
- **ولا تجادل الوسوسة**: لا تُطل المحاورة معها؛ استعذ بالله، وانتهِ، واشتغل بما ينفع.
- **اصحب الصالحين** وابتعد عن مواطن الفتنة، فهي ميدانه.

وما أضعفه حين يجدك يقظًا! فاجعل يقظتك سلاحك، وذكر الله حصنك، وتذكّر دائمًا: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦).

يا بني، كن لنفسك أحسن الأصدقاء وأرحمهم لسانًا. واجعل صوت الإيمان والأمل أعلى من صوت الخوف واليأس.

خاتمة

كلمةُ أبٍ أخيرة

يا بني،

بلغتُ آخر الأوراق، ولم أبلغ آخر الحبّ. وأشعر وأنا أُغلق هذه الصفحات كمن يودّع ولده عند باب السفر: قد وضع في حقيبته كل ما يملك، ثم لا يزال يقف عند الباب يعود فيوصيه بشيءٍ آخر، ويمسح

على كتفه، ويكتم دمعةً لا يريده أن يراها. فاسمح لأبيك هذه الوقفة الأخيرة؛ فهي أصدق ما في الكتاب.

لقد جرت سنّة الصالحين أن يوصوا أبناءهم عند الفراق. قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢). وقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ (البقرة: ١٣٣). فكان همّ يعقوب وهو يموت: ما سيعبد أبناؤه بعده، لا ما

سيأكلون ولا ما سيرثون. وهكذا أردتُ أن أكون: ما همّي لك مالٌ ولا جاه، بل أن تلقى ربّك وهو راضٍ عنك.

المفاتيح التي وضعتُها في يدك

ليست هذه الوصايا أحمالًا أُلقيها على كتفيك، بل مفاتيح، لكل بابٍ مفتاح. فالفجر والعشاء يفتحان لك باب البركة، والبقرة تفتح لك باب السكينة، والرياضة تفتح لك باب القوة، والطعام الطيب يفتح لك باب العافية، وترك الدخان يفتح لك باب الحرية. والكتمان يفتح لك باب الأمان،

وبيتٌ عامر بالرحمة يفتح لك باب السكن، والاعتدال يفتح لك باب الاتزان. والذكر يفتح لك باب الطمأنينة، والتقوى تفتح لك باب القبول، وحسن الخلق يفتح لك باب القلوب. والرضا يفتح لك باب السلام الداخلي، والثقة تفتح لك باب الإقدام، والاجتهاد يفتح لك باب النجاح، وتطوير النفس يفتح لك باب الارتقاء. وحفظ القرآن يفتح لك باب الحفظ والرفعة، والدعاء يفتح لك كل باب أُغلق، ومواسم العبادة تفتح لك أبواب الرحمة. واغتنام الفرص يفتح لك أبواب الخير، والاستعداد الدائم يفتح لك باب الطمأنينة،

ومعرفة الناس تفتح لك باب الحكمة، وترك الحكم بالمظاهر يفتح لك باب الإنصاف، وفهم الدنيا يفتح لك باب القناعة، وحسن الحديث مع نفسك يفتح لك باب الأمل، والحذر من كيد الشيطان يفتح لك باب النجاة.

وما الحياة إلا أبوابٌ تُفتح بمفاتيح، فاحفظ ما أعطيتُك، ولا تُضيّعه في زحمة الأيام.

كيف تحمل هذا الكتاب؟

لا تحمل الوصايا كلها في يومٍ واحد؛ فمن حمل الجبل دفعةً واحدة سقط تحته. خذ وصيةً واحدة

وأتقنها حتى تصير عادةً، ثم التفت إلى التي بعدها. فإنّ الشجرة لا تؤتي أُكُلها في ليلة، وإنّ الذي يقطع الطريق الطويل بخطواتٍ صغيرةٍ ثابتة أسرعُ ممن يعدو ثم ينقطع. وقد قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه).

وإن زللتَ فلا تيأس؛ فما أنت بأول من عثر، ولا آخر من نهض. إنما العيب أن تبقى حيث وقعتَ. والعبرة بمن يعود، لا بمن لا يسقط. وإن ثقلت عليك الوصايا يومًا فعُد إلى أولها: الصلاة، فهي أصل الباب كله.

وكلمةٌ في الصدق

ولا أُخفي عليك أني لم أبلغ بنفسي كل ما أوصيتُك به. فكم من وصيةٍ كتبتُها وأنا أرى تقصيري فيها بين السطور! وإنما كتبتُها لأن الحكيم قد يدلّ على الطريق وهو بعدُ في أوله، ولأني أرجو أن تبلغ أنت ما قصّرتُ عنه. فاعذر أباك إن رأيتَ في أفعاله ما يخالف أقواله، وادعُ له أن يغفر الله له ويُعينه على ما أوصاك به. فما الأب إلا مسافرٌ سبقك بخطوات، يلتفت إليك من بعيد ويقول لك: من هنا، فالطريق آمن.

وقبل أن أمضي

سترى في حياتك ما لم أرَ، وستُجرَح كما جُرحتُ، وربما بكيتَ حيث لا يراك أحد. وإني لأرجو أن تتذكّر حينها أن الألم ليس نهاية الطريق، بل هو الثمن الذي تُشترى به الحكمة، وأن القلب الذي لم يعرف الحزن لا يعرف الشكر. وقد قال بعض العلماء: إن القلب في سيره إلى الله كالطائر، رأسه المحبة، وجناحاه الخوف والرجاء. فأحبّ الله حبًّا يحملك، وخَفْه خوفًا يمنعك، وارجُه رجاءً يرفعك؛ فإذا اعتدل الجناحان استقام الطيران.

واعلم يا بني أن الدنيا لن تعطيك كل ما تريد، ولكنها ستعطيك ما يكفيك لتبلغ ربّك، فاشكر ما أُعطيتَ، واصبر على ما مُنعتَ، واجعل آخرتك همّك الأكبر، تُكفَ هموم دنياك.

اعلم دائمًا أنّي أحبّك

وهناك شيءٌ أخيرٌ أريدك أن تحفظه في قلبك قبل كل ما سبق: **اعلم دائمًا يا بني أنّي أحبّك، وسأظلّ أحبّك دائمًا.**

فلا تظنّنّ يومًا، مهما بدا مني سلوكٌ لم يُعجبك في ساعة غضب، أو قلتُ لك كلمةً قاسيةً في وقتٍ

ضاق فيه صدري، أنّي لا أحبّك؛ فهذا غير ممكن. إن الغضب غيمةٌ تعبر السماء ثم تنقشع، والحبّ هو السماء نفسها لا تتغيّر. وربّما خرجت من فمي كلمةٌ لا تشبه قلبي، فإنّ الأب إنسان، يضيق ويتعب ويخاف عليك حتى تعلو نبرته من فرط الخوف لا من قلّة الحب. وما أكثر ما كانت شدّتي عليك خوفًا من أن يصيبك ما أصابني، ولا أُحسن التعبير عنه.

وانظر إلى نوحٍ عليه السلام، وقد رأى ابنه يعرض عنه والطوفان يُحيط بهم، فلم يُغلق قلبه دونه، بل

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود: ٤٢). نادى بـ«يا بُنيّ»، في أشدّ ساعةٍ وأقسى موقف. وانظر إلى يعقوب عليه السلام كيف ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤) حزنًا على ولده. فهكذا قلوب الآباء: لا تكفّ عن الحبّ وإن اشتدّ الحال.

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ ورآه يُقبّل الحسن، فقال: إنّ لي عشرةً من الولد ما قبّلتُ منهم أحدًا! فقال ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ» (متفق عليه). وإني

لأرجو أن أكون ممن يرحم، وأن تكون لي في قلبك رحمةٌ كما لك في قلبي.

وإن أخطأتُ في حقّك يومًا، بكلمةٍ جارحة أو موقفٍ ظالم، فاغفر لأبيك وسامحه، فإني أسألك أن تصفح كما أُحبّ أن يصفح الله عنّي. وإن رأيتَني أُخطئ فلا يهتزّ يقينك بحبّي لك؛ فقد يغيب الصوت، وقد تختلف الآراء، وقد تضيق الأيام، ولكنّ الحب لا يغيب. وسيبقى دعائي لك في سجودي، وستبقى هذه الكلمات شاهدةً على ما في قلبي.

فإذا ضاقت بك الدنيا يومًا، أو ظننتَ أنك وحدك، أو شعرتَ أنّ لا أحد يفهمك، فتذكّر هذه الكلمات: **أبوك يحبّك.** يحبّك حين تنجح وحين تفشل، وحين تُصيب وحين تُخطئ، وحين تكون قريبًا وحين تكون بعيدًا. وحين لا يبقى لي لسانٌ أقول لك، فستبقى هذه السطور تقول لك: **أحبّك يا بني.**

الدعاء الأخير

هذه أمنيتي لك، رفعتُها إلى ربّي في خلوتي، وأرفعها الآن بين يديك لتعرف أنها تُدعى لك في

كل حين: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠). ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤). ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥).

اللهم إني أستودعك ولدي ودينه وأمانته وخواتيم عمله، فاحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه، وأعوذ بعظمتك أن يُغتال من تحته. اللهم اجعله هاديًا مهديًّا، وقرّةَ عينٍ لوالديه، وذخرًا له في الآخرة.

يا بني، إذا قرأتَ هذا يومًا وأنا إلى جوارك، فاضحك على أبيك الذي أطال، وقبّل يدي. وإن قرأتَه وأنا بعيد، فادعُ لي، فإنّ دعاء الولد الصالح من العمل الذي لا ينقطع، وقد قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»

(رواه مسلم).

جعلك الله قرّة عينٍ لي في الدنيا، وذخرًا لي في الآخرة، وهداك وحفظك ووفّقك، وجمعني بك في مستقرّ رحمته، في جنّةٍ عرضها السماوات والأرض، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

أبوك المحب